الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
دار اللغة والأدب العربي

رقم الإيداع في دار الوثائق العراقية
٢١٠٧ لسنة ٢٠١٥

للتواصل
Website: www.alh.imamhussain.org
E-mail: siaraa@imamhussain.org
+٩٦٤٧٧٢١٤٥٨٠٠١ - +٩٦٤٧٨٢٧٢٣٦٨٦٤

اسم الإصدار	مجلة سيراء
جهة الإصدار	دار اللغة والأدب العربي
سنة الطبع	2023م
الطبعة	الأولى
المطبعة	مطبعة دار الوارث للطباعة والنشر العراق - كربلاء
العدد	الثامن
عدد النسخ	٥٠٠ نسخة

اضاءة عنوانية

"السِّيَرَاءُ" بِكَسْرِ السِّينِ وَفَتْحِ الْيَاءِ وَالْمَدِّ (في لغة العرب الأوائل) نَوْعٌ مِنَ الثياب الذي يُخالِطه الحَرير أو الذَّهبُ الصافي الخالصُ أو القشرةُ اللازِقَةُ بالنواةِ أو الجَرِيدَةُ من جَرَائِد النَّخْل، ومجلتنا الغرّاء جمعَتْ هذه المعاني كلَّها ووِسِمَتْ بها؛ فهي حُلَّةٌ مطرّزةٌ بالذهب لما توثّقُه من سِيرة أعلام اللغة العربية وتسجّلُه من آثارهم العلمية، تلك السيرة الخالصة لخدمة لغتنا الخالدة لغة القرآن الكريم، وهي كذلك نَخْلةٌ باسقةٌ يرفلُ بفيئها طُلّاب المعرفة لما يجنون من ثمارها الدانية ويقطفون من أسرارها العالية.

المشرف العام

سماحة المتولي الشرعي
الشيخ عبد المهدي الكربلائيّ

رئيس التحرير

أ.د.فارس حسن السلطاني

مدير التحرير

م.د. حسن كاظم الزهيري

هيأة التحرير

أ.د. علي جاسب عبد الله حيدر
أ.د. علي حلو حواس جبار
م.د. أكسم احمد فياض

التدقيق اللغوي

أ.د. فارس حسن السلطاني

التصميم والاخراج

حيدر أزهر الفتلاوي

المحتويات

شيخنا المخزومي خليل العصر ١١
أ.د طارق عبد عون الجنابيّ /الجامعة المستنصرية / كلية التربيّة

الدراسات الأسلوبية عند المخزومي..... ٢١
أ.د. صاحب الشيخ جعفر أبو جناح/ الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

تيسير النحو في العراق الدكتور مهدي المخزومي مثالاً ٣٩
أ.د. باقر محمد جعفر الكرباسي/كلية التربية الأساسية/جامعة الكوفة/العراق

مهدي المخزومي تجديد أم صيحة في واد؟ ٦٥
أ.د.وليد السراقبي جامعة حماة -قسم اللغة العربية-كلية الآداب-سورية

علم الدكتور المخزومي عطاء لا ينضب ٧٩
أ.د. وَلاء صَادق مُحسِن / جامعة بغداد - كلية التربية للبنات

ضوء على أهم قضايا التيسير النحوي عند المخزومي ٨٩
م .د كريم ضباب مطر

حياته وجهوده العلمية ٩٧
م. د فاطمة محمد علي حسين المخزومي/ كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

الخليل بن أحمد الفراهيديّ والدكتور مهديّ المخزوميّ روابطٌ وصلات ١٠٩
م .د شهلاء خالد محمّد رضا / كليَّة التربية بنات / جامعة بغداد

نافذة على كتاب (الدرس النحويّ في بغداد)
للمرحوم الدكتور مهدي المخزومي (رحمه الله تعالى) ١١٩
م.د حَسَنُ كَاظِم حُسَيْن الزُهيريِّ / المديرية العامة لتربية بابل

قراءة في كتاب (المخزومي ونظرية النحو العربي) د.زهير غازي زاهد ١٤٥
أ.د.تحسين فاضل عباس / كلية الآداب /جامعة الكوفة

الافتتاحية

الدكتور مهدي المخزومي خليل عصره

في الخامس من شهر مارس من عام ١٩١٧ ولد مهدي المخزومي لأسرة نجفية ما فتئت أن توجه ولدها نحو جامع الهندي وهو مكان الدرس الأول في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ليتلقى علومه الأولى فيه، مع ما أصابه في غضارة سنه من فقده والديه وهو بعد صبي، فتولى أخوته رعايته. ثم دخل مدرسة الغري الابتدائية في النجف وتدرج أكاديميا، ثم عاد الى جامع الهندي ليكمل دراسة علوم الأدب والفقه.

لقد نشا المخزومي في بيئة علمية ادبية فوالده الشيخ صالح كان من الفقهاء وخاله الشيخ محمد حسين (١٨٧٨-١٩٣٧) كان فقيها اصوليا عروضيا خطاطا وقد اورد المرحوم علي الخاقاني نماذج من شعره في شعراء الغري استغرقت الصفحات (٦-٨٦) من الجزء الثامن المطبوع في النجف سنة ١٩٥٥ وللشيخ محمد حسين ارجوزة في العروض شرحها ونشرها المرحوم السيد عبد الحميد الراضي بعنوان شرح تحفة الخليل في العروض والقافية (بغداد ١٩٦٨) .

رحل الأستاذ المخزومي الى مصر ليدرس في كلية الآداب في جامعة القاهرة وعاد أستاذا في دار المعلمين العالية (كلية التربية)، ثم يعاود الرحيل مجددا الى القاهرة لإكمال رسالته للماجستير وللدكتوراه ليمضي متطلعا لكل جديد في كتاباته التي حقق فيها النحو ورجاله ومدارسه.

الحديث عن المخزومي حديث ذو شجون فهو فطحل من فطاحل النحو الذين قرأوا ما بين السطور في تبنيه للنظريات النحوية وخدمتها للواقع العلمي فكان أحد رواد نظرية تيسير النحو العربي التي تبناها نخبة من علماء النحو الذين أرادوا تخليص النحو من التعقيد الذي علق به من جراء نظريات وفلسفات لا تمت الى النحو بصلة، بل غايتها حشر كل غريب ومعقد ليجعلوا لأنفسهم مكانة علمية بذلك، تاركين وراءهم مجتمعا ينفر من النحو وأساليبه على مر القرون.

لقد تجلت آراء الدكتور المخزومي في كتابيه المهمين:

في النحو العربي نقد وتوجيه

والآخر في النحو العربي قواعد وتطبيق

إذ أسس فيهما لمنهج نحوي قائم على أساس رصين يقول الدكتور السقا الذي قدم للكتابين أعلاه: « ومباحث الدكتور المخزومي تعد من أمتع الدراسات العلمية، فإنها قائمة على أساس علمي متين، وكل تطوير لا يقوم على أساس علمي فإن مصيره الإخفاق المحقق ... ولعله يسد الفراغ ويحقق الأمل الذي يصبو الى تحقيقه النحاة، لأنه يقوم على الأسس

العلمية[١]، ويقول الدكتور الجبوري: «إن محاولة المخزومي هي أشمل محاولات إصلاح النحو وتمتاز عنها بأنها اعتمدت على التطبيق لاختبار صحتها في أبواب النحو المختلفة، بعد أن حاول إرساء منهجه على أسس نظرية[٢]».

لقد بدا للجميع من مؤلفات الدكتور المخزومي أنه انضم الى جملة النحاة الذين رفضوا ما يعرف بالعامل النحوي الذي رآه الكثيرون مسلكا تعقيديا نأى بالنحو عن وجهته التي أعد لها، والغاية التي أريد من أجلها، فقد غرس في كتابه (في النحو العربي نقد وتوجيه) كل هذه المباني في صياغة نحو جديد لا علاقة له بالعوامل النحوية بل بما بين الألفاظ من ترابط في الجملة، وما لكل لفظ من دلالة يدل عليها ذلك اللفظ بحسب موقعه.

وهو بذلك قد وجه انتقاداته الصريحة للبصريين مستثنيا الخليل الفراهيدي منها، مثنيا على الكوفيين وموافقا لكثير من آرائهم لا سيما فيما يتعلق بأصل المشتقات وأقسام الفعل في العربية، و(كان) واخواتها.

لقد عد المخزومي أحد أبرز الأعلام المجددين في النحو العربي الى جانب أستاذه إبراهيم مصطفى، واصلا بين الماضي في درسه النحوي القديم ومستقيا أفكاره الجدد من الدرس اللغوي الحديث.

لقد وقف موقفه الصارم من نظرية العامل التي تجمع على إقصائها معظم الدراسات اللغوية الحديثة، يقول في ذلك -رحمه الله-: « قد حاولت في هذه الفصول أن أخلّص الدرس النحوي من سيطرة المنهج الفلسفي عليه وأن أسلب العامل النحوي قدرته على العمل، وقد كان النحاة رحمهم الله قد جعلوا من هذا المنهج منطلقا لأعمالهم»[٣].

لقد بدا واضحا تأثره بمدرسة الكوفة لاسيما أنه قد كتب في ذلك وسماها مدرسة مؤيدا كل ما ورد من آثار نحو الكوفيين في أبواب التنازع والاشتغال وتقدم الفعل على فاعله وغيره.

وقد رأى أن الإعراب هو: « بيان ما للكلمة أو للجملة من وظيفة لغوية أو قيمة نحوية ككونها مسندا إليه أو مضافا إليه أو فاعلا أو مفعولا أو حالا أو غير ذلك من الوظائف التي تؤديها في ثنايا] كذا[الجمل وتؤديها الجمل في ثنايا الكلام»[٤].

ترك المخزومي مجموعة مهمة من المؤلفات منها:

١- في النحو العربي نقد وتوجيه
٢- في النحو العربي قواعد وتطبيق
٣- مدرسة الكوفة
٤- الخليل الفراهيدي رجل من البصرة، وسوى ذلك من المؤلفات القيمة.

لقد تولى المرحوم الدكتور مهدي المخزومي التدريس في كلية الآداب والعلوم

ببغداد ثم أسندت اليه عمادتها وبعد احالته الى التقاعد سنة ١٩٦٣ انتدب للتدريس في المملكة العربية السعودية فعين رئيسا لقسم اللغة العربية بجامعة الرياض، وقد كانت جامعة الكوفة آخر محطاته التي أزهرت به بين طلابه من الأساتيذ.

رحل عن الدنيا وهو في ميدان المعرفة كان يجيب أحد تلاميذه، ثم وافته المنية في السادس من آذار سنة ١٩٩٣م فهد نعيه وجدان محبيه وعارفي فضله.

وقد صدق الجواهري حين أرسل إليه مقطوعة شعرية يوم ألم به عارض صحي سنة ١٩٧٤ فقال:

أبا «مـهـنـد» لا آذتـك نازلـــــــة
ولا تـخـطت إلى عليـائك الـعـــلُ
ولا خـلـت مـنـك سـوح الفضل عامرة
بـهـا اذا غـبـت عـنـهـا سـاعـة، خـلـل
وظلَّ كـالـفـجـر ضـوء منك منطلق
يهـدي الـعـصـور ، وهـدي منـك مقتبل
يا كـاسـي الـجـيـل مـن افـضـالـه مناً
مـنـهـا تـتـيـه عـلـى اكـتـافـه حـلـلُ
وحـاضن «اللغة الفصحى» وقد عبثت
بـهـا الـجـهـالـة والاخـطـاء والـــزلـل
ومـطـلـع الـفـكـر فـي ظـلمـائها قبسا
كـمـا يـحـول روضـا يـانـعـا طـلـل
يـهـيـنـك ان ربـوع الـعـلـم تـحـتـفـل
بـان سـلـمـت وسـوح الـمـجـد تـبـتهل

الهوامش:

١- الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه: ٤١٣
٢- نفسه: ٤١٣
٣- في النحو العربي نقد وتوجيه:١٦
٤- نفسه»٦٧

هيأة التحرير

شيخنا المخزومي خليل العصر

أ.د طارق عبد عون الجنابيّ /الجامعة المستنصرية / كلية التربيّة

في مدينة النجف الأشرف إذ تضجّ الحياة الاجتماعيّة بمجالس الفقه والأدب واللغة، وتحفل بالمجالس العلميّة، وُلِدَ الصّبيّ مهدي بن محمد صالح ابن الشيخ حسن آل زاير دهام في محلة (العمارة) في يوم من أيام عام ١٩١٤م في كنف أسرةٍ علميّةٍ معروفة عمومة وخؤولة، فأمُّه شقيقة السيِّد محمّد حسين القزويني صاحب تحفة الخليل في العروض والقوافي.

لحقه اليتم بوفاة والده – رحمه الله – بعدما رأت عينه الدّنيا بزمن قليل، ثمّ لحقته به والدته - رحمها الله – ولمَّا يبلغ الثامنة.

تعلَّم القراءة والكتابة في أحد الكتاتيب، ثمَّ أتمَّ الابتدائيّة، والتحق بالحوزة العلميّة لترتقي العمامة الصغيرة ذهنًا وقّادًا مُحبًّا لعربيته، وتلمذ لطائفة كريمة لعلماء الشّريعة فتعرَّف علومها، وتقدَّم في دراسة النحو حتّى أكمل شرح ابن الناظم على ألفيّة أبيه، ولمَّا يبلُغ الثالثة عشرةَ.

وفي عام ١٩٣٧ التحق وكيل معلم في سوق الشيوخ، وفي العام التالي تقدّم لاختبار الابتعاث إلى القاهرة، فنجح متفوّقًا ومضى عام ١٩٣٨م طالبًا في آداب القاهرة وحصل على الشهادة الجامعيّة الأولية، وآب إلى العراق مدرِّسًا في دار المعلمين الرّيفيّة.

عاد إلى القاهرة سنة ١٩٤٨م، ونال (الماجستير) سنة ١٩٥٢م عن رسالته (الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه)، وكأنَّهُ يكتب عن نفسه؛ لشدّة تعلقه بالخليل، وإعجابه بسيرته، وفكره اللغويّ، وبداهته السّديدة.

وفي عام ١٩٥٤م توّج رحلته إلى مصر بـ (الدكتوراه) عن (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) بإشراف الأستاذ مصطفى السقّا، وكان المخزومي الرائد الذي لا يكذّب أهله.

آب إلى بغداد، وشغل الموقع الذي غادره (عزّ الدين آل ياسين – رحمه الله-) إلى دار الخلود، وكان خير خلفٍ لخير سلف في آداب بغداد العتيدة.

تسنَّمَ عمادة كلية الآداب من ١٩٥٨م – ١٩٦٣م، وكان أبًا لطلابه وكانت قلوبهم مرعى لمودته، روى لي

المرحوم خالد عليّ مصطفى أنَّه خرج من المعتقل طالبًا مفصولًا من الكليّة، قدَّم للمخزومي طلبًا للعودة، ابتسم المخزومي في وجهه، وكتب على الطلب يُعاد فورًا إلى مقعده.

غادر العراق ١٩٦٤م إلى السعوديّة ؛ ليكون رئيسًا لقسم اللغة العربيّة في آداب الرّياض آنذاك، ومعاون الكليّة المرحوم شاكر خصباك، أدار القسم إدارة علميّة وتربويَّة رائعة، كانت الأنظمة الجامعيّة حسنة، بيد أنَّ تطبيقها لم يكن حسنًا، ولكن المخزومي بعث فيها الروح، والحديث يطول توضحه هذه الحالة:

- إنَّ غياب الطلبة بحسب اللوائح غير مُطبّق، بيد أنَّ المخزومي أعاد الحياة إليها حين أصدر - أو كاد - أمرًا بفصل طالب، أحد الموظفين أوصل الأمر إلى أمير الرّياض، فالطالب ابنه، وهذا ما لم يحصل من قبل، اتّصل الأمير بالمخزومي شاكرًا له حرصه وراجياً الاكتفاء بالفصل دون الإعلان.

عاد إلى العراق في عام ١٩٦٨م أستاذًا في آداب بغداد، فرئيساً لقسم اللغة العربيّة، ولكن أثير بوجهه غبارٌ كثيف حين طلب أنْ يعدُّ كلّ من يحاضر في الدّراسات العُليا منهج ما يُعهد إليه تدريسه، وأمور أخرى، وجرت الأيّام بين مدّ وجزر، حتَّى فوجئ بإحالته على التّقاعد هو والدكتور عليّ جواد الطاهر، ومدير التسجيل عبد الرضا الوزَّان (رحمهم الله).

وتسألني: لمَ صدّرت العنوان بـ (خليل العصر)، والجواب: أنَّ الموازنة بين الخليل بن أحمد الفراهيدي ومهدي المخزومي توقفنا على مشابهة وقربى:

١- عاش الخليل بعيدًا عن السلطان، وكذا شأن المخزومي، وقد مرّت به سنون عجاف،ولكنّه ظلّ على سمته وهدوئه وطلاقة مُحياه، يودِّع زائره بمثل استقباله إيَّاه، وهو في منزله لا يغادره إلاَّ لماماً، لم يشكّ، ولم تبدو عليه الحاجة.

في عام ١٩٨٨م زاره بعض طلابه السّابقين ممَّن كانوا يشغلون مناصب في وزارة الثقافة والإعلام، وعرضوا عليه التقديم لنيل جائزة (الدِّراسات

اللغويّة) في (المربد) ولعلّهم قد وعدوه أنْ تكون له.

يأبى (المخزومي) العرض بأنّ الجهات ذات الشأن هي التي ترشح من تراه جديرًا، أمَّا أنْ يقدِّم الدارس أو العالم، فهو عنده أمرٌ مُذلّ.

٢- كان الخليل زاهداً عن مغانم الدّنيا، عاش في خصّ بالبصرة لا يُشعر، والدنيا تأكل بعلمه، والمخزومي حبيس منزله، وله إشعاعه على الدّرس النحويّ وعلى طالبيه.

٣- وكان الخليل ذا عقلٍ مبدعٍ صحّت فيه عبارة ابن المقفع: رأيت رجلاً عقله أكبرُ من علمه، والمخزومي على هذا النحو.

٤- أخلاقهما معًا رضيّة فكلاهما عفٌّ واسع الصدر، والمخزومي أنيس الحاشية في خفّة الروح، وحبّ الدعابة أحيانًا، لا يحقد ولا يحسد ولكنه يحسن الحوار في العلم اللغوي وينقد، ويكتب عن الخليل رسالته للماجستير يسبق بها الألى يشرئبّون إلى الدرس النحوي وإلى التخصّص بالعربيّة وبعد حين من الدّهر يتمَّهُ بـ (عبقريٍّ من البصرة)، وتكون «مدرسة الكوفة « رسالته للدكتوراه ليؤصِّل بها لمصطلح المدرسة، وهو عنده يعني (المذهب) أو (الطريقة) أو (المنهج) وقد زاده في العنوان في العنوان الفرعي (ومنهجها في دراسة اللغة والأدب)، ولعلّه هنا يكون ثاني اثنين يشعران بوجود مدارس نحوية عند العرب وثانيهما (فولكل) محقّق (الفهرست).

المخزومي وقضية (المدارس النحويّة)

كان المخزومي وقد أعدّ أطروحته للدكتوراه يرى أنَّ عند العرب ثلاث مدارس نحويّة: البصريّة والكوفيّة والبغداديّة، ورجالها من خلط بين المذهبين، وجمع بين الرأيين وهم جمهرة فيهم ابن كيسان (ت ١٨٩هـ)، وابن شقير (ت ٣١٧هـ)، وابن الخياط (ت ٣٢٠هـ) وربّما زادوا الزجاجي(ت ٣٣٧هـ)، وغيرهم.

في العام الجامعيّ ١٩٦٩-١٩٧٠م عُهد إلى المخزوميّ تدريس مادة (المدرسة البغداديّة) لطلّاب (الماجستير)، وكنت أحدهم، ولقد انتهى الدّرس بنا إلى نفي البغداديّة

عمّن دعاهم ابن النديم من خلط بين المذهبين من تلامذة ثعلب والمبرّد، وقد كنت أعدّ نفسي للكتابة عن هذه (المدرسة)، فقال لي أستاذي: وهل ثمَّة مدرسة ! قلت لأنفي وجودها؛ لأنَّ البغداديين هم الكوفيون بناء على مقالة السّجستاني (٢٥٥هـ): أهلُ بغداد حشو عسكر الخليفة، ثمّ يمضي زمن يسير فيأمرني شيخي بمتابعة طبع كتابه (الدرس النحوي في بغداد) بمطبعة السعدون، ولي أن أجري قلمي تصويبًا بما يكون مزالًا عن جهته، تواضعًا منه أجبتُ: أنَّى يكون ذلك ؟ وهذا دليل على رجوعه عمّا يقول، إذا جدّ جديد مقنع ؛ لأنَّه حرُّ الرأي

والخلاصة: لم يعدّ في ذهن شيخنا وجود (المدرسة البغداديّة) واستقرّ على المدرستين أو المذهبين، منكرًا أن يكون لكلّ أفق من الآفاق الإسلاميّة (مدرسة) فالدرس النحوي في البصرة ثمّ في بغداد، ثمّ في باقي الأقطار لا يستقل بنفسه عن البيئة العراقيّة.

كان شيخنا إبراهيم السامرائيّ - رحمه الله – قد أنكر أن تكون للعرب مدارس نحويّة في عمل أسماه (ألنا مدارس نحويّة !)، ثمّ (المدارس النحويّة: أسطورةٌ وواقع)، وندّت منه عبارة أثارت سجالاً بين العالمين الكبيرين زاده أُواراً تفاوت المنهج في تحقيق كتاب (العين).

المخزومي وتيسير النحو:

ثقف المخزومي النحو العربيّ، وهو يقرأ ما كتبه الأقدمون في النصوص العربيّة الرّفيعة نثراً وشعراً منذ الصبا وهو ينظر في النصّ الشّريف بذائقته وذهنه، وإذا كان قد بدأ حياته حوزيًّا، فإنَّ ذلك قد أتاح له تعرّف الفقه وأصوله وما يتّصل به من أمور الشرع وتعلّقه بشؤون العربيّة: لغةً ونحواً وأداءً.

وانتقل إلى الجامعة المصريّة، وهي تفتح ذراعيها عبر المتوسّط لتتنسم ريح التحديث اللغويّ بما استقبلته من علماء اللغة الغربيين، وفيهم: أنو ليتمان، وبول كراوس، ويوهان فك، ووليم رأين، وغيرهم من السّابقين واللاحقين، وتلمذ لطائفة كريمة من ذوي التجديد، وفيهم إبراهيم مصطفى، وفؤاد حسنين، وطه

حسين، وأمين الخولي وآخرون، وكانت لجنة المعارف المصريّة تعدّ كتاب (تحرير النحو) على الرؤية الجديدة، وحين أخرج شوقي ضيف كتاب (الردّ على النحاة) لابن مضاء القرطبي، عزّز تلكم الدعوات التيسيريّة التي داعبت مشاعر المخزومي الذي قرأ كتاب سيبويه بتأنٍ واستيعاب وعرف بعمق النّظر اللغويّ للخليل وتلميذه (سيبويه)، والنخبة العارفة من الكوفيين والبصريين، وسار مع رحلة النحو الطّويلة قارئًا مُتفكّرًا في رويّة وأناة.

وليس من ريب في أنّ أكثر أهل العربيّة، غير الرواة غالباً لهم فضل الاشتغال بعلوم أخرى: إسلاميَّة وفكريّة، وحيويّة، ولهذا كان أثر الفقه وأصوله والمنطق واضحًا في الدرس النحوي، ومن هنا كان أبو عمر الجرميّ يُفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه، ومن ثُمّ كان للنشاط العقلي عند المعتزلة والمتكلمين والفلاسفة أثرٌ جمٌّ لايُجحد في نحو ابن السرّاج.

أمَّا المتأخرون من النحويين فقد نسخوا على سابقيهم، وبالغ بعضهم في تأليف المُختصرات والمقدّمات والمنظومات ثمّ شرحها والتحشية عليها وفيها تلعّب في الألفاظ مع ليّ العبارة في مخاطبة العقل، والتعليلات البعيدة، فصار النحو هدفاً لا وسيلةً لتعرّف النظام النحويّ، وفهمه، وصيانة الكلام من الانحراف والزّلل والتّمسّك الواعي بالفصيحة، التي منحها المخزومي أقصى رعاية وليس لديه مستويات، فالمستوى الأعلى هو الأفصح.

وتأسيساً على هذا يرى المخزومي أنّ نحو الأوائل من روّاد العربيّة هو النحو ؛ لأنَّه وليد الرّوايات من أفواه الأعراب، إذ كان الخليل وأضرابه يلتقون القبائل الفصيحة والوافدين إلى الأمصار ويملؤون ألواحهم وقراطيسهم بهذه المرويات، ثمّ يؤوبون إلى بلدانهم – صنيع الخليل الرائد – ثمّ يُصنّف وتُستقرأ القواعد وهذا من أولويات المنهج الوصفي الاستقرائي، وقد حُدِّد زمان رواية اللغة وبيئتها، مع التوثيق من النصّ الشريف، والحديث أحيانًا، والشعر العربيّ شاهدًا.

وبناءً على ما سبق:

١- لم يجد المخزومي في نحو المتأخرين ما يُرضي نزعته التيسيريّة.

٢- وأنَّه أفاد من الأقدمين، ولاسيّما (الفرّاء) من الكوفيين بعد الخليل وتلميذه العبقري سيبويه.

٣- وأفاد من ابن مضاء في دعوته إلى إلغاء نظرية (العامل) وما يتّصل بها من العلّل، كما أفاد من نشاط لجنة المعارف وكتاب شيخه إبراهيم مصطفى في (إحياء النحو)، وإن لم يُحط بأبواب النحو كلّها.

وله من رؤيته الخاصّة، وفلسفته في تيسير النحو في تعليم العربية وقد أصدر كتابه النظري (في النحو العربي - نقد وتوجيه) وحاز به على جائزة ؛ لأنَّه حرّك الماء الراكد، وأعقبه بالكتاب التنفيذي لأفكاره (في النحو العربي - قواعد وتطبيق) على المنهج الحديث، وهي العبارة التي زادها شيخه (مصطفى السقا)، وكان أشرف على طبع الكتاب، ولقد (أفزعت) هذه العبارة حلمي خليل إذ رأى في المحاولة أنَّها انتهت إلى ثوب مُتعدّد الألوان، لا ينتمي إلى نموذج واضح، وأمَّا ألوانه فمستعارةً أحياناً من الفرّاء، وابن مضاء، وأحياناً من إبراهيم مصطفى، واجتهاد رأيه، فماذا في هذا ؟ إنَّه عالمٌ باحثٌ مفكّر مستفيد بتواضع فذّ، يأخذ العلم من أيّ وعاء خرج، ليصل إلى ما يبتغي.

وترتكز ملاحظ حلمي خليل في حديثه الناقد المستفيض على:

١- غلبة المعيارية على محاولة المخزومي.

٢- وما أضافه المخزومي لا يتعدّى التقييم والتبويب.

٣- وأنّ ما قدّمه لا ينتمي إلى القدماء والمحدثين.

وهذا كلّه يصبّ في سلامة محاولة المخزومي ؛ لأنّه واسع الأفق يفتّش عن ضالّته مستفيداً من علم من استقرى كلام العرب، في زمان ومكان معلومين على ما بشّر به (دو سوسير) بعدُ، وأفاض به المحدثون، وهم لم يجروا في تيار واحد، ولا سيّما بعد اتساع الدراسات اللسانيّة المعاصرة لدى علماء اللغة وفلاسفتها[1].

إنّ المخزومي نحويّ مُجدّد،

ويأتي تجديده بالبعد عن العامل والتعليلات العقلية والمنطقية،ورعايته للمعنى في الإعراب، مرتكزاً إلى التراث النحويّ: كوفيّه وبصريّه، ولم يستشر الدرس اللساني المعاصر ؛ لأنّ أعماله تأخذ مادتها من الدرس العربي القديم والجديد، أراد أن يقدّم النحو للدارسين مُبرّأً من التعقيد والعُسر، سهل التناول قريبًا من الإفهام، وهو لم يدَّعِ تمام العمل، ويمكن للقارئ الرّجوع إلى (نظرية النحو العربي عند الدكتور مهدي المخزومي) للدكتور زهير غازي زاهد، و(مهدي المخزومي وجهوده النحويّة) للدكتور رياض يونس السّواد، ففيهما غناء جزيل.

المخزومي المُحقّق:

لا ريب أنّ المُحقّق الثبت باحثٌ جادّ ومن ثمّة تبدّى علم التحقيق عند المخزومي في عملين:

أولهما: تحقيق المُعجم العبقريّ منجاً ومادةً ينمان على علم الخليل اللغويّ وعقله الرّياضي، يشاطره شيخنا إبراهيم السّامرائيّ، وكانا مسبوقين بعملين رائدين في تحقيق (المقدِّمة الصوتية) للمعجم، وهي التي فتحت باب الدرس الصوتي عند العرب، الأوّل للكرملي، والثاني للشيخ محمد حسن آل ياسين (رحمهما الله).

عرض العمل ما يحتاج إلى مراجعة دقيقة، وقد فعل المخزومي ذلك بمراجعة ثمانية الأجزاء، وأجرى قلمه على جملة الكتاب، وأراني ذلك في إحدى زياراتي له.

بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ساعة كنّا معه أنا والدكتور زهير زاهد والدكتور محمد علي حمزة (رحمه الله)، وكان يتحدّث بطلاقة، فجأة ارتفعت يمناه إلى جبهته بصمتٍ وسكون، الجار طبيب القلب يجيئ عجلان، يحاول ولكن أمر الله قد نفذ.

وثاني العملين:

هو نقد التحقيق، ولا يجيده إلاّ (المتمكن الأمكن)، وكانت له جولة مع كتاب (بغداد مدينة السّلام) لابن الفقيه.

أسلوبه:

قلمه أنيق تعبيراً وكتابةً، يذهب كثير من نسيجه الكلامي

مذهب الأمثال السائرة، يتحرّى اللفظ الفصيح ذا الجرس المعبّر في سلامة العبارة، وجمال الإيقاع وله في الحوار لغة حجاجيّة تأخذ بالألباب، يبدأ ببيان الدليل متريثًا هادئًا ويُحكم ما يقول بختام يصلح أن يكون قولاً مأثوراً، قال في رسالة إلى رئيس المجمع العلمي الأردنيّ:

أرجو لكم التوفيق، ولمجلتكم الازدهار وأشكر لكم هذا الدرس الذي نبّهني على أنَّ المؤسسات العلميّة في الوطن العربي كلّها على نمط واحد، وأنّ التعلّقبهذه المؤسسات او تلك لهو التعلق بأوهى البيوت، وكان المخزومي قد زار الموصل برفقة الجواهريّ والدكتور علي جواد الطاهر (رحمهما الله) بدعوة من رئيس جامعة الموصل الدكتور محمد مجيد السعيد (رحمه الله) في ٢٠ شباط ١٩٨٠م، وكان قد أعدّ بحثاً للغة الجواهري، وألقى الطاهر بحثه النقدي، غير أنَّه المخزوميّ لم يرد أن يقتطع من الحاضرين وقتًا ولهفة السّماع للجواهري، فآثر أن تنشر هذه الدّراسة مع ما دار في الأمسية، وكلام المخزومي يعتمد الإيقاع بين الجمل القصار وكان في دراسته متسامحاً مع ضرورات الجواهري، وخروجه في شعره على عدد من نواميس بناء الكلمة ودلالتها، ونظام تأليف الجملة ؛ لأنّه يتجنّب الحوشي والمستكره، وإنَّ لمفرداته رنينًا كرنين العود، ونغمة كنغمة الوتر، وإنّ لها في النفس لجرساً، وإنّ لها في النفس لحلاوة، وعبارة الجواهري صافية لم يشبها كدر، وجزلة تشدّ إليها السّامعين، وموسيقى الجواهري عالية آسرة.

يقول عنه الدكتور نعمة العزاوي (رحمه الله): ولم يكن المخزومي نحويّاً فقط، بل كان أديباً مرهف الحسّ، مصقول الذوق، فهم الأدب العربيّ وعبّ منه، حتّى أشرقت عبارته، وصفا أسلوبه. وكانت له تجارب شعريّة وبعض مراسلات على البند. وملاك القول: إنّ الحديث عن المخزومي، على كثرة ما كُتِبَ عنه لا ينقطع، ولايملّ، والذي يعرفه عن كثب يرى فيه استواء في خلقه الرّضي وأسلوبه الرائق الأنيق الفصيح، ورؤاه التنويرية

في دراسة العربية وإحاطته بها، وتذوقه إيّاها، وقد عاب على أحدهم بقوله: تتكسّر الفصيحة بين شدقيه، وذلك أقصى ما يقوله فيمن يغفل عن سلامة العربية.

والخلاصة:

١- المدارس النحويّة عنده اثنتان: البصرية والكوفية، والبغداديون هم الكوفيون

٢- وأنّ التّفاوت المصطلحي ليس كما يتصوّره كثير من الباحثين فعدد من المصطلحات يرد عند القبيلين، وربّما كان بعض ما في كتبهم، وعدّ مصطلحًا هو – في الحقيقة – بيان وإيضاح وتفسير.

٣- وأنَّ علم القبيلين قد اختلط، وكانت روايات اللغويين من الكوفيين أو البغداديين عن اللغويين البصريين مشافهة أو نقلًا من آثارهم يجعلنا نطمئن إلى أنَّ الخلاف بينهم خلاف نحوي بعدما شاعت الفلسفة، وتكاثرت، وعَلَتْ ضجة الحجاج العقلي وانتهت المذهبيّة والمدرسيّة بمضي القرن الرابع.لقد كُتب الكثير عن المخزومي حتى صار أسمه علماً وعنواناً على التجديد والتيسير في النحو، وعلى الأستاذيّة الحقّة، وعلى الإباء والارتفاع فوق المطامع والمطامح في زمن كثرت فيه الكائنات المتسلّقة.

إنّه المخزومي.... وكفى.

الهوامش:

١- يراجع: انتظام العرفة اللغويّة ٢٤ فما بعدها

الدراسات الأسلوبية عند المخزومي

أ.د. صاحب الشيخ جعفر أبو جناح كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

ما إن ظهر كتاب " إحياء النحو" لإبراهيم مصطفى في طبعته الأولى عام١٩٣٧ م حتى اضطرب الوجه الراكد لبحيرة النحو العربيّ واهتزَّ بعنفٍ وشدّة لمْ يعهدهما من قبل وذلك بفعل رياح التجديد التي أثارها ظهوره.

وليس من المبالغة القول إنّ رد الفعل الصاخب الذي أثاره هذا الكتاب الخطير الشأن لم يكن أقلّ حدّة ممّا أثاره كتاب طه حسين في الشعر الجاهلي، وليس من المصادفة أن يكون بعض الذين شاركوا في التصدّي لطه حسين ومنهجه الجديد قد شاركوا أيضا في التصدّي لصاحب إحياء النحو ونظريته الجديدة في الدرس النحوي. وهي البادرة الأولى للعمل الجادّ في إصلاح ما أفسدته القرون كما وصفها العلّامة المخزومي[١].

والواضح أنَّ الأستاذ إبراهيم مصطفى كان واحداً من ثلاثةٍ كبار كان لهم الأثر الأوَّل في رسم المنهج العام للبحث النحوي عند الدكتور المخزومي وتحديد ملامحه التي اتضحت فيما قدّم من دراسات ومصنفات خلال حياته العلمية الخصبة.

وأوّل هؤلاء الثلاثة الخليل بن أحمد الذي استلهم المخزومي علمه ومنهجه وسيرته، فأفرد لدراسته رسالته المعروفة عن أعماله ومنهجه وترسّم هديه في سائر ما كتب وما دعا إليه، بعد أن مثل في ذهنه أنَّ الخليل)) كان إذا تناول مسألةً وأراد القياس عليها أو قياسها على غيرها نحا نحواً لغوياً مقبولاً في نظر الدرس اللغويّ ولم يفلسف المسألة أو يتكلّف تعليلاً عقلياً، وإنّما يستعرض في ذهنه استعمالات العرب وأساليبهم، فإذا ساعده ذلك على حمل هذه المسألة عليها فعل))[٢].

وكان ثاني الثلاثة الفراء الذي رآه المخزومي ((أشبه الدارسين بالخليل دقة في الملاحظة وسعة في الاطلاع واستيعاباً لموضوع دراسته، يتناول القياس تناول الخليل إيّاه، بانياً إيّاه على ما يحسّ به من شبه بين المسألتين أو بين الموضوعين دون أن يتكلف استنتاجا أو يتمحل في استنباط))[٣].

يقرّر المخزومي أنّ الدارس المحدَث لا بدّ له أن يبدأ الدرس من حيث درس الخليل ودرس الفرّاء، وبين يديه أقوال الخليل في " الكتاب " وأقوال الفراء في "معاني القرآن " وإليهما يرجع الفضل في إرساء هذا الدرس على أساس متين من فقه اللغة واستقراء لأساليب العرب في محادثاتهم ومخاطباتهم[٤].

إنَّ ما جاء به الخليل والفراء ليس من النحو الخالص، كما يقرّر المخزومي وإنّما كان درساً شاملاً لفروع الدراسة النحوية واللغويّة، ولم يكن "الكتاب " ليكون كتابا في النحو الخالص، ولكنّه كان يتناول بالدرس مسائل لغوية وصرفية بالإضافة إلى مسائل النحو، وكذلك " معاني القرآن " فيما جاء فيه من آراء في اللغة والنحو ليس من النحو الخالص، ولكنه خليط من هذا وذاك[٥]

هذه المقولات التي انتهى إليها المخزومي هي المفتاح الذي يمكن الاهتداء به إلى الفكر النحوي عنده والولوج إلى مسالكه التي تألفت منها عناصر نظريته النحوية وملامح منهجه في البحث اللغوي.

ولعل أبرز ملامح هذا المنهج العناية بالظاهرة الأسلوبية والاهتمام بدراستها، فقد كانت مدار البحث والتحرّي عنده ونقطة الاستقطاب التي تتمحور حولها جهوده وتحقيقاته. لذلك كان يعتقد أنّ العزوف عن دراسة الأساليب وانصراف النحويين إلى دراسة المفردة وما يعتريها من ظواهر الإعراب والبناء أصاب الدرس النحوي بالجمود وحرمه مصادر حيويته، فكان النحويون أبعد الدارسين اللغويين عن فقه اللغة ونحوها وأساليبها ؛ لأنّ دراسة الأساليب لا تتمّ عنده بمثل ما دأبوا عليه، ولا يتم الوصول إليها بالعكوف على ملاحظة أواخر الكلمات بناءً وإعراباً.[٦]

وهو يقرّر بوضوح أنّ دراسة الأساليب لا غنى عنها في دراسة أيّة لغة كأسلوب الاستفهام وأسلوب النفي وأسلوب التوكيد، وغيرها ممّا يتوقف معرفته على معرفة الجملة، لأنّه من عوارضها، كالتقديم والتأخير

والذكر والحذف والنفي والإثبات والاستفهام والتوكيد، وينعى على علماء العربية تفريقهم بين اختصاص النحاة واختصاص أهل المعاني، ذلك لأن الاختصاص عنده واحد والتفرقة بين صحة الكلام وفصاحته مبنية على اعتبارات عقلية محضة.

وهو في هذا التقرير ينطلق مما استلهمه من شيخه إبراهيم مصطفى الذي أحسن الاستفادة منه والانتفاع بفكره ونهجه في كتابه الرائد[٧].

فإذا كان الدرس الأسلوبي ينمو عند نقطة التماسّ التي تحدث بين النحو والبلاغة فقد قرّر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) منذ عدّة قرون أنَّ الأسلوب الذي اصطلح عليه((بـ "النظم" ليس إلاَّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تُخلّ بشيء منها))[٨].

واللسانيات تهب ثمار بحثها إلى الأسلوبية من حيث هي عمل ينجز على الآثار الأدبية. وهو ما أدركه المخزومي ولمح أصوله عند عبد القاهر الجرجاني وأصحاب المعاني وعلى نحو ما نبَّه عليه شيخه إبراهيم مصطفى ينطلق الأستاذ المخزومي في دراسته للظاهرة الأسلوبية من تحديد مفهوم الجملة الإسمية والجملة الفعلية وطبيعتها، وإعادة النظر فيما قرره النحاة بشأنها. وهدفه من وراء هذا السعي ((تصحيح ما وقع فيه القدماء من تعسف وارتباك، ومراعاة ما يقتضيه الأسلوب اللغوي))[٩].

والجملة الفعلية عنده هي الجملة التي يدلّ فيها المسند على التجدّد، أي يكون فيها المسند فعلا، لأن الدلالة على التجدّد إنّما تستمدّ من الأفعال وحدها، ولا عبرة بتقديم الفاعل أو الفعل، لأن تقديم المسند إليه في الجملة الفعلية لا يغتر من طبيعة الجملة، لأنَّه إنَّما قدم للاهتمام به[١٠].

والجملة الإسمية هي التي يدلّ فيها المسند على الدوام والثبوت،

ويكون فيها المسند اسما[١١].

وقرر أيضا أنّ هناك تعبيرات لا يصدق عليها مفهوم الجملة الذي ((يقوم على أساس من إسناد يؤدي إلى إحداث فكرة تامة.[١٢] وهذه التعبيرات تشمل أسلوب النداء والتنبيه والقسم، التي هي أساليب خاصّة تؤدّى بصيغ معيّنة لا تقوم على أساس الإسناد ولا تتوافر فيها العلاقة الإسنادية، على الرغم مما تكلفه النحويون من تقديرات ثقيلة بادية التكلّف لتطرد فرضية العلاقة الإسنادية التي زعموا قيامها فيها.

وكان في مقدمّة ما نبه عليه المخزومي وعالجه من أساليب، أسلوب الإخبار بكان وأخواتها، وبأفعال المقاربة. ومع أنَّه قدم الحديث عنها في مبحثين منفصلين عما أدرجه فيما بعد تحت عنوان " أساليب التعبير" وأدرج تحته التوكيد والنفي والاستفهام والجواب والشرط والنداء، فإنَّ الملحظ الأسلوبي في عرضه لأحكام هذين المبحثين ليس خافياً على المتأمل لحديثه عنهما. وأوَّل ما سجله على النحويين أنَّهم عاملوا مجموعة ما دعي بالأفعال الناقصة معاملة واحدة وساقوها مساقاً واحداً، وليس الأمر كذلك في رأيه. فهو يرى أنَّ هذه الكلمات ليست سواء في الدلالة والاستعمال، فبعضها متصرّف وبعضها جامد، وبعضها إثبات وبعضها نفي. وأنَّ "صار " ينبغي أن تفصل عن المجموعة ؛ لأنَّها إنّما تدخل في الغالب على ما ليس أصله مبتدأ وخبراً، وأنَّ المنصوب بعدها - عنده- ليس خبراً ولا مفعولاً بل تمييز وظيفته إماطة إبهام في نسبة الصيرورة الى الفاعل[١٣].

كما يرى وجوب فصل "ليس " عن المجموعة، لأنَّها تدل على نفي صلة الخبر بالمبتدأ في المعنى، وأنّ الخبر بعدها منصوب على الخلاف كما هو الشأن في خبر " ما ولا ولات وإنْ " في بعض لغات العرب، وليس على الحال كما هو الشأن في خبر " كان وظلَّ وأمسى وباتَ وأضحى "ونحوها ومن هنا فهو يرى أن تصنّف هذه الأفعال بعد إخراج " صار وليس" بحسب

دلالاتها على معانيها على ثلاث طوائف:

الأولى: ما دلّ على الكينونة العامة، وهي: كان واستقر وحصل ووجد وحدث.

الثانية: ما دلّ على الكينونة الخاصة وهي: أصبح وأمسى وأضحى وظلَّ وبات.

الثالثة: ما دلَّ على الكينونة المستمرة، وهي: مازال وما انفك وما برح وما فتىء، ويقترح أن يضاف إليها: استمرّ ومادام وما وجد وما استقرّ وما حصل،

لأنهنَّ مثلهنَّ في الدلالة على الوجود المستمر[١٤].

وهذه النظرة التي اعتمدت زاويتي النظر الدلاليّ والنظر الأسلوبي في تحليل أسلوب الإخبار بهذه الأفعال، وما توصل إليه من نتائج هي، فيما نعلم، مما لم يسبق إليه، إذا تجاوزنا الأنظار المتفرّقة التي قيلت في هذه المفردة أو تلك عند بعض حذّاق النحويين.

وعلى هذا النحو كانت رؤية المخزومي لما دعي عند النحويين "أفعال المقاربة" فقد هداه النظر والتأمّل في أسلوب الأخبار بهذه الأفعال إلى أنّها ليست طائفة واحدة كما أراد لها النحويون أن تكون بمقتضى ما تصوّروه من عمل لها فيما بعدها، وما لا حظوه من شبه بينها في الاستعمال وطريقة (العمل).

وأنّ هذه الأفعال لا صلة لها بكان وأخواتها في الدلالة ولا في الاستعمال، وما بينها من شَبَهٍ واهٍ في الاستعمال لا يبرّر إلحاقها بها في التصنيف وهي عنده ثلاث طوائف مختلفة دلالة وفحوى، طائفة تفيد المقاربة وهي كاد وكرب وأوشك. وطائفة تفيد الرجاء، وهي عسى وحرى واخلولق. وطائفة تفيد الشروع وهي أنشأ وطفى وجعل وأخذ وعلق[١٥].

وجميع هذه الأفعال تقتضي خبراً فعلياً يؤذن بما فيها من معنى الشروع أو مقاربة الفعل الحدوث أو توقع حدوثه. وهو ما يناسبه الفعل دون غيره، لهذا ندر وقوع الاسم خبراً عنها، لدلالته على الاستقرار والدوام لا

الحدوث أو التجدد، ولا عبرة بتقدم الفاعل على الفعل في الجملة الواقعة بعد هذه الأفعال أو تأخره عنه، فهي في جميع الصور جملة فعلية استنادا إلى طبيعة الإسناد، وهو ما تحتاج إليه هذه الأفعال لتحقيق دلالة المقاربة أو الرجاء أو الشروع[١٦].

ثمَّة قضية أخرى من قضايا التحليل الأسلوبي شغلت حيزاً واضحاً في الفكر النحوي عند المخزومي، وهي قضية إضمار الفعل في جملة من التعبيرات التي تتردّد في كلام العرب ومحاوراتهم في القديم والحديث. وهو يسمّي هذه الظاهرة "إضمار الفعل" لا حذف الفعل، لأنَّه يرى أنّ الفعل لم يكن موجودا فيها ثم حذف، بل يرى أنَّهم استغنوا عنه أصلاً، ولا مسوّغ لتقديره وافتراض تأثيره في الجملة، وما يترتب على ذلك من تفسيرات وتأويلات قد تخل بالمعنى المراد وتصرفه عن مساره ووجهته المقصودة.

والجملة الفعلية -كما يراها- أكثر الجمل شيوعاً في الاستعمال، وهي أساس التعبير في العربيّة[١٧]. ولكنّ مناسبات القول وقرائنه تدلّ على الفعل أحيانا فلا يذكر، ويكون سياق الكلام، بما يحفّ به من ملابسات، وما يدلّ عليه من قرائن كالبدل منه، على حدّ تعبير الخليل، فيترك إظهاره ويُضمر، وهي ظاهرة ملحوظة في العربية حيث لا تكون بالمتكلم أو السامع حاجة إلى تقديره، لأنَّه من الوضوح في درجة لو ذكر معها لكان الكلام حشوا لا جدوى منه[١٨].

وهو هنا يلمح أثر السياق المقامي أو الحالي أو ما يدعى بالسياق الاجتماعي عند المحدثين، وإن لم يصرح بالعبارة عنه. وقد وقف في هذا الصدد عند تحليل الخليل لطائفة من عبارات الحوار اليومي عند العرب، ممّا أُضمر فيه الفعل وظهر معناه وأثره في نظام التركيب، وذلك نحو قولهم: أتميمياً مرّة وقيسيا أخرى؟ يريدون: أتتحوّل تميمياً مرّة وقيسيّاً أخرى؟! ونحو قوله تعالى: ((انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ)) (النساء: ١٧١) أي ائتوا خيرا لكم. فنصب الاسم لأنه وقع

في سياق فعل دلت عليه قرائن القول ومناسباته، ويدخل تحت ذلك التفسير أبواب كثيرة من المنصوبات تمثلت في جملة متنوعة من أساليب الأمر والنهي والدعاء والخبر والتشبيه والتحذير والإغراء تناولها كتاب سيبويه بالتحليل المنقول جلّه عن الخليل، وهي لا تحمل على إسناد ولا على إضافة، بل وقعت في سياق فعلي دلت عليه قرينة الحال فتصبت الأسماء لهذا المعنى[١٩].

بعد هذه المداخل لن يكون مفاجئا لنا أن نجد المخزومي يخصّص مئة صفحة، تمثل ثلث حجم الكتاب "في النحو العربي " لدراسة "أساليب التعبير" المتضمنة أسلوب التوكيد والنفي والاستفهام والجواب والشرط والنداء والوصل، ولكنه يمهد لتحليلها ودراستها بالحديث عن أهمية السياق وأثره في تحديد وجهة الكلام ودلالته عند المتكلم والسامع، وهو يطلق على السياق مصطلحات عدة منها مناسبات القول، والعلاقة بين المتكلم والمخاطب، ومقتضى الحال، وظاهر الحال ممّا يشكل " الظروف القولية" التي تتحكم فيما يصدر عن المتكلم من كلام يوجه إلى المخاطب، وما يكتنف ذلك من أسلوب تمليه تلك الأحوال على المتكلم إملاء[٢٠].

والتنبيه لأهمية السياق وأثره في تحديد طبيعة الجملة وخصائصها الأسلوبية مسألة لم تكن غائبة عن أذهان النحويين الأوائل، بل إنّنا نجد التعبير عنها مبثوثا في كتب النحو في مناسبات كثيرة، لكنها لم تدرج تحت عنوان واضح ولم تشخص بصورة جلية، بل وردت مشتتة معزولة عن بعضها، لا نجد لها ظلّاً في معالجة النحاة أصول الأساليب ومسائلها، وكان لهذا الإهمال أثره الواضح في فصل دراسة النحو عن دراسة المعاني، وافتراق السبل بكل من العلمين وهو الأمر الذي ما كان بحريٍّ، أن يقع(٢١).

وحتى يُردّ إلى الدرس النحوي ما اقتطع منه، ويوجه الوجهة التي تلائم طبيعته، يعالج المخزومي أساليب التعبير المختلفة التي تقوم على ما

للأدوات من دلالات وعلى المعاني العامة التي تقع الجمل في سياقها في أثناء تأديتها الوظيفة اللغوية من توكيد ونفي واستفهام ونحوها[٢٢].

ففي مبحث يعقده المخزومي "لأسلوب التوكيد " يقيّد على النحويين تعلقهم بشطر يسير من أساليب التوكيد، وهو النمط التكراري في اللفظ أو المعنى، وذلك لارتباطه بظاهرة الإعمال المفترضة التي شغلوا بالبحث عنها فأهملوا صورا كثيرة لها مجال أوسع مما أوردوه، كالتوكيد بالقسم وبالقصر وبالتقديم وصور أخرى وأدوات كثيرة تجاهلوها لأنّها ليست ذات صلة بالعامل الذي كان له نفوذ لا يقاوم على أساليب تفكيرهم[٢٣].

وعلى هذا لم يحظ موضوع التوكيد بوصفه أسلوبا أو معنى عاماً من معاني الجمل بما هو جدير به من اهتمام النحويين، لا سيّما أنَّهم عالجوا أدواته ولاحظوا ما لها من دلالات واستعمالات ووظائف وتقصوا مواضعها فيما كتبوا، ولكنهم، كما يقيّد عليهم، كانوا يبحثونها متفرّقة غير متصلة ببعضها، ولا مجموعة في سياق بحثي واحد.

لهذا عقد مبحثا لما سمّاه التوكيد بالأداة، وعرض فيه لأنّ، وهي تختصّ بالأسماء ولنون التوكيد، وهي تختص بالأفعال، ولأداتي القصر: إنَّما، وما، وإلاّ، وتدخلان على الأسماء والأفعال لتؤدّيا التوكيد المشدّد. ثم عرض لبقية الأدوات التوكيدية، وهي الباء، ومن، وإن، التي ترد بعد النفي لتؤكد الخبر[٢٤].

وعقد مبحثا آخر لما سمّاه التوكيد بغير الأداة، وأدرج تحته التوكيد بالتقديم مثل: ((إيَّاك نعبدُ)) وقوله تعالى: ((بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)). الزمر: ٦٦، والتوكيد بالتكرار، وله صورتان: التكرار باللفظ والتكرار بالمعنى، ومباحثهما معروفة في كتب النحويين، لكنّه زاد عليها ما ورد في كتب أهل المعاني من صور أخرى ليست عند النحويين من نحو قوله تعالى: ((وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) آل عمران: ١٠٤. ونبّه في ختام مبحثه إلى أن أصحاب المعاني استوفوا صور التوكيد وبسطوها

وأسهبوا في بيان بلاغتها، وكان الأجدر بكتب النحو أن تنحو هذا المنحى لأنّه

من صميم وظائفها وصلب أهدافها[٢٥].

وفي مبحث "أسلوب النفي " يمهد المخزومي لبيان مفهوم النفي الذي هو نقض وإنكار لدفع ما يتردّد في ذهن المخاطب من شكّ أو يقين موهوم أو غير موهوم، ونبّه إلى اختلاف صيغه بمقتضى اختلاف السياقات التي يقال فيها أو بحسب ما تمليه ملابسات القول ومناسباته كما هو نصّ عبارته.. ويعرض لأدوات النفي في العربية فيقسّمها إلى أدوات مفردة وهي " ما، وإن، وهل " وأدوات مركبة وهي: لمْ، ولمّا، ولنْ، وليس، ولات. وقرّر أنَّ "لا " أوسع استخداما من " ما " في النفي، وهي أصل لأدوات أخرى مثل: " لمْ، ولمَّا، ولنْ، وليسَ، ولاتَ"، كما أنَّها تستخدم للنهي أيضا وأن أصلها اللام، وهو أحد أصوات الذلاقة، فمن هنا كان اتساع استعمالها في العربية وتنوع صور المنفي بعدها بين اسم وفعل، والاسم يعرب ويبنى ويرفع وينصب ويجرّ ويعرّف وينكّر، والفعل يأتي ماضياً مرّة ومضارعا أخرى، وهو هنا يستعيد ما انتقده شيخه إبراهيم مصطفى على الأوائل من تفريق بين لا النافية للجنس والنافية للواحد[٢٦]. وقرّر أنَّ هذا التفريق مفتعل لا أساس لهو وأنَّ نصب الاسم بعدها في بعض الصور الشائعة ما هو إلاَّ نوع من أنواع المركبات التي عرفت في العربية بفتح جزأيها كما في الظروف المركّبة والأحوال المركبة والأعداد المركبة. فإذا فصل بينها وبين منفيها زال البناء وعاد الاسم إلى الرفع كقوله تعالى: ((لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ)) (الصافات: ٤٧)[٢٧]

ثم عرض لـ إنْ وهل ونبّه بأن النفي بهما نوع من أنواع التوسّع في استخدام الأدوات. ونمط من أنماط مرونة العربية وغزارة ثروتها الأسلوبية

وحين عرض للأدوات المركبة وبنيتها بالتحليل الدقيق وهي " لم، ولما، لن، وليس، ولات" قدّم كثيراً من التحليلات الدقيقة التي تسجل بصفتها إضافات جديدة واجتهادات ثمينة. وثمرة هذا المبحث التي أضافها المخزومي لجهود السابقين وابتكرها بنفسه هي جمع هذه الأدوات في سياق واحد وفيها ليس، وهي عند الجمهور فعل وعند الخليل وأبي علي الفارسي والمخزومي والمحدثين حرف مركب، وهل الاستفهامية المقترنة بإلاّ. كما نبَّه تبعا لبرجشتراسر بأنّ "لا" أصل أدوات النفي الأخرى مثل: لم، ولمَّا، ولن، وليس، ولات، وهي أوسع استخداماً من "ما " في النفي[٢٨].

في مبحث " أسلوب الاستفهام " الذي تجاهلته كتب النحو ولم تفرد له باباً خاصاً، يقدم المخزومي فهماً جديداً لأدوات الاستفهام فيرى الهمزة وهل أصلاً في الاستفهام، وبقية الأدوات كنايات محمولة على الهمزة وهل، فالهمزة أمّ الباب، وهي تستخدم أيضا للتعبير عن معان أخرى كالتقرير والإنكار والتوبيخ والتعجب ونحوها. والمستفهم منه معها يكون موضع عناية فيؤثر بالتقديم على سواه من أجزاء الجملة فعلاً كان أو فاعلاً أو مفعولاً أو زماناً أو مكاناً.

والاستفهام بها يكون عن المفرد وعن النسبة. أمّا «هلْ» فهي أداة استفهام عن النسبة، سواء أكانت في جملة فعلية أم في جملة اسمية، لذا منع النحاة أن يليها اسم بعده فعل، سواء كان ذلك الاسم منصوبا أم مرفوعا، وهنا يستنتج المخزومي أنّ جملة زيد يكرم ضيفه، جملة فعلية تقدم فيها الفاعل على فعله ولم يبق في موضعه الطبيعي لذا امتنع دخول «هل» عليها. وهذا من تدقيقاته التي لم ترد عند غيره.

كما انتهى به البحث إلى أن الاستفهام في العربية على طريقتين:

الأولى: استعمال أداة تدلّ أصالة على سؤال يتعلّق بمفرد أو بنسبة، ومثاله استعمال الهمزة وهلْ.

والأخرى: تقوم على التقديم والتأخير،

وهي الاستفهام بأسلوب الكنايات؛ لأن المستفهم عنه بهذه الطريقة هو ما تتضمنه الكناية نفسها من معنى، وليس هناك أداة استفهام، فتقديم هذه الكنايات ووضعها في صدر الكلام عند إرادة الاستفهام هو الذي خلصت به الجملة للاستفهام، فما طرأ على نظام الجملة من تغير بتقديم هذه الكنايات غير وجهتها من الخبر إلى الإنشاء، وتحقّق بمقتضاه

الاستفهام، لهذا لا يصحّ حذفها كما تحذف الهمزة ويبقى الاستفهام مدلولا عليه بالسياق في مواضع كثيرة[٢٩].

وتدارك في المبحث التالي لمبحث الاستفهام ما أهمله النحويون من دراسة ضرورية لأسلوب الجواب. فقد تناولوا في كتاباتهم عن حروف المعاني أشتاتاً مبعثرة من أحرف الجواب، بحسبما تقتضيه بنيتها اللفظية وهجاء حروفها الأوّل، على نحو ما وجدناه عند الرّماني والزجَّاجي والهروي والمالقي والمرادي وابن هشام وسواهم. وعقد المخزومي مبحثاً موحداً جمع فيه أحرف الجواب وأدواته المتفرقة في مباحث النحويين فأدرج فيه نعم، وبلى، وأجل، وإي، وجير، وإنْ، ولا، وتحدث عن طبيعة كلّ منها وأسلوب استعماله في اللغة سواء أكانت لتصديق الخبر أو للإعلام بعد الاستفهام؟ كما في نعم، وبلى، وإي، وأجل.

في مبحث "أسلوب الشرط " يقدم المخزومي عرضا تحليليا لعبارة الشرط بصفتها نمطاً أسلوبياً خاصاً يقوم على جزئين، يعلّق ثانيهما على تحقق الأول منهما فيوجد بوجوده وينعدم بعدمه، وعليه فأن جعل عبارتي الشرط والجزاء جملة واحدة مسألة لا مندوحة عنها، لأن العبارتين في جملة الشرط مرتبطتان بواسطة الأداة ارتباطاً وثيقاً لا يتصوّر معه استقلال إحداهما عن الأخرى. وعلى هذا فهو يرى من غير الممكن الحديث عن جملتين منفصلتين لهما حكمان مختلفان من الإعراب أو عدمه، بل يرى هذا من النظر العقلي المحض والتحليل المنطقي ؛ لأن النظر

اللغويّ يرى فيهما جملة واحدة لا تعبيرا، لا يقبل الانشطار، لأنَّه لا يمكن الاستغناء بإحداهما عن الثانية ولا يكتمل المعنى إلاَّ بهما معا[٣٠].

ومن الوجهة الدلالية فأنَّ عبارة الشرط ليس فيها نصّ على تحققها أو عدمه فقد تقع وقد لا تقع، ومن هنا اشترطوا ربط الجزاء بالشرط بواسطة الفاء حينما يكون الجواب في أصله جملة اسميّة دالة على تحقق النسبة وثبوتها ودوامها أو جملة طلبية دالة على طلب إحداث الفعل فوراً، وهو ما يخالف فكرة تعليق الجواب بالشرط وتوقف وقوعه على وقوع سابقه. ومثل ذلك جملة الفعل الجامد والفعل المقترن بقد والفعل المقتر بالسين، أو سوف أو بما ولن النافيتين ؛ لأنّ هذه الجمل لا تصلح أن تكون معلّقة على جملة الشرط، فلا بدّ من ربطها بالفاء إشعاراً بذلك وجرياً على ما اعتمدته العربية من روابط بين أجزاء العبارات التي تحتاج إلى ربط في الخبر أو في الإنشاء[٣١].

وعلى نحو ما تناول المخزومي البعد الدلالي في جملة الشرط تنبه أيضا الى جانب البنية فيها فتحدث عن النمط المألوف وهو ما تتقدم فيه الأداة ثم الشرط ثم الجزاء، لكن هذا قد يتغيَّر فتقدم عبارة الجواب على الأداة فتبقى الدلالة ويبقى الأسلوب قائمين على حالهما، ولا حاجة إلى تقدير محذوف مفترض على نحو ما تكلفه المعربون القدامى، انسياقاً وراء مواضعات فكرة العامل وحقّه في التصدر، وضعفه عن العمل متأخرا عن معموله.

ومثلما قسّم أدوات الاستفهام الى أدوات أصلية وأخرى كنايات عن الاستفهام كذلك رأى في أدوات الشرط قسمين: قسم يؤدي الشرط أصالة وهي: إنْ، وإذا، ولو، والآخر: كنايات تدل أصلاً على الأشخاص والأشياء والأزمنة والأمكنة والأحوال وغيرها، ولكنها تدلل على الشرط كناية وهي: ما، ومن، ومهما، وأي، وأين، ومتى، وأيَّانَ، وكيف، وأنّى، وحيثما.

وقد انتقد المخزومي على

النحويين إدراجهم هذه الأدوات مع قسم من أدوات النفي في مبحث واحد بجامع أنَّ الفعل بعدها يأتي مجزوما، متجاهلين أنَّ للشرط خصوصية أسلوبية ودلالة خاصة توجب إفراده عن سواه من أساليب الإخبار[٣٢].

ولم يغب المشكل الذي أحاط بأسلوب النداء عند الدارسين القدامى والمحدثين عن بال المخزومي وهو يتناول الأساليب بالدراسة والتحليل، فأفرد له مبحثا مهّد له بالحديث عن أدواته وهي الهمزة، ويا،وأيا، وهيا، والأخيرتان كلمة واحدة حصل فيها إبدال بين الهمزة والهاء للتخفيف. كما عرض لأداة الندبة "وا " التي تستعمل للاستغاثة أيضا.

وأهم ما قيده على القدامى زعمهم بأنَّ هذه الأدوات تؤدي وظيفة الفعل (أدعو) وتقوم مقامه في إحداث النصب.

وعنده أن أسلوب النداء مبني على شيئين، الأداة والمنادى، ومنهما ينشا مركب لفظي ليس فيه معنى فعل مقدّر، وليس فيه إسناد ولا يصحّ عدّه في الجملة الفعلية كما يقدر النحاة، لأن فيه إخراجه عن الإنشاء إلى الخبر، كما لاحظ ذلك بعض القدماء أيضاً(٣٣)، كما لا يصحّ اعتباره جملة حتى لو كانت جملة غير إسنادية كما ارتأى الدكتور عبد الرحمن أيوب، إلا إذا أراد أن يوسع مفهوم الجملة فيطلقها على هذا التركيب ونحوه من تراكيب القسم والدعاء والتعجب. ويستدل المخزومي على صحة رأيه بدخول "يا " على الأفعال وعلى الحروف مثل "ليت" وحيث لا يمكن تقدير أدعو أو أُنادي بعدها كما لا يمكن تقدير أيّ منادى بعدها، لأنَّ ذلك يحيل الكلام إلى ضرب من الحشو والتطويل[٣٤].

وهو يستهدي في تفسير حركة المنادى وتناوبها بين الضمّ والفتح بتعليل الخليل وهو عنده تعليل وجيه يقوم على اساس أنَّ المنادى إذا طال بالإضافة أو التنوين نصب، وإذا كان مفرداً رفع جرياً على عادة العرب في نصب بعض الظروف إذا أضيفت وبنائها على الضمّ

إذا قطعت عن الإضافة[٣٥]

كما استأنس أيضا برأي أستاذه إبراهيم مصطفى الذي لم يختلف في غايته عن رأي الخليل وإن اختلف عنه أسلوبا حيث علّل الضم في المنادى غير المنوّن بمنع اللبس بالمستغاث والمندوب لو نصب بدون تنوين حيث تقلب الفتحة ألفاً أو بالمضاف إلى ياء المتكلم حيث تقلب في بعض اللغات ألفاً نحو: يا غلاماً[٣٦].

ويلخص رأيه في أسلوب النداء بأنه ليس جملة فعلية، ولا جملة غير إسنادية، بل هو مركّب لفظي بمنزلة أسماء الأصوات لإبلاغ المنادى حاجته أو لدعوته إلى إغاثة أو نصرة أو نحو ذلك[٣٧].

وتأتي خاتمة الأساليب التعبيرية في هيأة بحث عن أسلوب الوصل وأدواته في العربية وهي: ما وأن، وأنَّ، ويسمّونها أدوات المصدر، والجمل بعدها صلات. ويخالف المخزومي النحويين في كون هذه الأدوات مصدرية يراد لها أن تؤول وما بعدها بمصادر تقوم مقام الفاعل أو المفعول أو المضاف إليه، بل هي، عنده، أدوات استعملت وسائط لوضع الجمل في مواضع المفردات وتحميلها معانيها الإعرابية من فاعلية ومفعولية وإضافة وغيرها[٣٨]. والغرض منها ليس الإخبار بالمصادر المؤولة لأنَّهم لو أرادوا ذلك لجاءوا بهذه المصادر صريحة ابتداء، لكنهم قصدوا إلى استعمال الفعل وقصدوا إليه قصداً لإرادة الحدوث والتجدّد فتوصلوا إلى تحقيق ذلك بهذه الروابط التي وصلت ما قبلها بما بعدها من صيغ فعلية أو جملة اسميّة بعد " أنَّ " المفتوحة الهمزة المشدّدة التي لا تفيد التوكيد كما زعموا، بدليل اقترانها بأفعال الظنّ والشك ونحوها مما يتعارض والتوكيد القاطع[٣٩].

ويقترح المخزومي أن تضاف إلى هذه الأدوات التي فرّقها النحويون ولم يجمعوها في باب واحد بحسبما تقتضي وظيفتها الأسلوبية أدوات أخرى رابطة مثل أيّ التي تلحق المنادى المعرف بأل وأدوات الإضافة التي يدعوها البصريون

حروف الجرّ: والفاء الواقعة في جواب الشرط، وأن تجمع هذه الأدوات وما يماثلها في باب واحد لتدرس وظيفتها اللغوية في نطاق موضوع واحد.

وبعدُ، فلعلّي في هذه العجالة اليسيرة، تمكنت من تقديم صورة موجزة عن الجهود التي حقّقها المرحوم العلامة مهدي المخزومي في دراسة الأساليب العربية بضمن جهوده الثمينة في الدرس النحوي واللغوي.

الهوامش

١- في النحو العربي (نقد وتوجيه) د. مهدي المخزومي ط١ بيروت ١٩٦٤ ص١٥.

٢- في النحو العربي: ٢٣ وانظر أعلام في النحو العري للمخزومي - بغداد- ١٩٨٠ م ص ٣٢ والدرس النحوي في بغداد للمخزومي ط بغداد ١٩٧٤ ص٣٢ ومدرسة الكوفة للمخزومي ص١٢٦.

٣- في النحو العربي: ٢٤.

٤- في النحو العربي: ٢٤.

٥- في النحو العربي: ٢٥.

٦- في النحو العربي: ٣٤.

٧- في النحو العربي: ٣٥ وانظر إحياء النحو لإبراهيم مصطفى ط القاهرة ١٩٧٥ ص٩.

٨- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ط بيروت ١٩٨١م ص٦٤.

٩- في النحو العربي: ٤١.

١٠- في النحو العربي: ٤٢.

١١- في النحو العربي: ٤٢.

١٢- نفسه: ٥٣.

١٣- في النحو العربي: ١٧٩.

١٤- في النحو العربي: ١٨٠.

١٥- في النحو العربي: ١٨٥.

١٦- في النحو العربي: ١٨٨.

١٧- نفسه: ٢٠٧. وانظر بحث: الجملة العربية أساس التعبير في اللغة العربية، لعلي الجارم (بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٥٠م).

١٨- نفسه: ٢٠٧.

١٩- في النحو العربي: ٢٠٧ – ٢١٤ وانظر الكتاب ١/ ١٢٨ – ١٤٩ ط بولاق.

٢٠- في النحو العربي: ٢٢٥.

٢١- نفسه: ٢٢٦.

٢٢- نفسه: ٢٣٣.

٢٣- في النحو العربي: ٢٣٥.

٢٤- نفسه: ٢٣٧.

٢٥- في النحو العربي: ٢٤٥.

٢٦- إحياء النحو لإبراهيم مصطفى ط القاهرة ١٩٣٧م ص١٣٠.

٢٧- في النحو العربي: ٢٥١.

٢٨- نفسه ٢٥٤ – ٢٦٣ وانظر الخليل بن أحمد للمخزومي: ١٨٩، والمسائل الحلبيات لأبي علي الفارسيط١ بيروت ص٢١٠ والتطوّر النحوي لبرجشتراسر، دار الرفاعي – القاهرة ١٩٨٢م ص ١٦٨.

٢٩- في النحو العربي: ٢٧٤.

٣٠- في النحو العربي: ٢٨٦.

٣١- نفسه: ٢٨٨.

٣٢- في النحو العربي: ٢٩٨.

٣٣- المستوفى في النحو لعلي بن مسعود الفرغاني (مخطوط على الآلة الكاتبة) بتحقيق د. حسن الشرع ص ١٣٤.

٣٤- في النحو العربي ٣٠٦ وينظر دراسات في النحو العربي لعبد الرحمن أيوب ط القاهرة
١٩٥ ص١٢٩

٣٥- في النحو العربي: ٣٠٨ وانظر الكتاب ١/ ٣٠٣ (ط بولاق).

٣٦- إحياء النحو: ٦٣.

٣٧- في النحو العِربي: ٣١١.

٣٨- في النحو العربي: ٣١٥.

٣٩- نفسه: ٣١٦.

مصادر البحث:

القرآن الكريم

١- الدرس النحوي في بغداد للمخزومي ط بغداد ١٩٧٤.

٢- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٧٤م.

٣- أعلام في النحو العري للمخزومي، وزارة الثقافة بغداد (سلسلة الموسوعة الصغيرة)، ١٩٨٠م

٤- التطوّر النحوي لبرجشتراسر، بعناية د. رمضان عبد التواب دار الرفاعي ومكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٨٢م.

٥- الجملة العربية أساس التعبير في اللغة العربية، لعلي الجارم (بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٥٠م).

٦- دراسات نقدية في النحو العربي، د. عبد الرحمن أيوب، القاهرة، ١٩٥٧م.

٧- دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني بعناية الشيخ محمد عبده، مكتبة القاهرة ط بيروت ١٩٦١م

٨- في النحو العربي (نقد وتوجيه) د. مهدي المخزومي المكتبة العصرية، ط١ بيروت ١٩٦٤.

٩- كتاب سيبويه، الطبعة الأميرية ببولاق.

١٠- مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو،د. مهدي المخزومي، طبعة الحلبي القاهرة.

١١- المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي، تحقيق د حسن هنداوي، دار القلم ط١ بيروت ١٩٨٧م

١٢- المستوفى في النحو لعلي بن مسعود الفرغاني (مخطوط على الآلة الكاتبة) بتحقيق د. محمد بدوي المختون، القاهرة ١٩٨٧ م.

تيسير النحو في العراق
الدكتور مهدي المخزومي مثالاً

أ.د. باقر محمد جعفر الكرباسي/كلية التربية الأساسية/جامعة الكوفة/العراق

المقدمة

حظيت اللغة العربية بالاهتمام الكبير من لدن العلماء منذ أن بزغ فجر الإسلام، وصار لها في النفوس من الإكبار والاحترام حين اختارها الله عزَّ وجل لوحيه، ما أظهرها على اللُّغات كلّها وظلَّت خلال العصور لغة الدرس والأدب والفكر والسياسة والبحث،وما زالت شجرتها المباركة باسقة الظلال دانية الجنى، أصلها ثابت وفرعها في السَّماء تؤتي أكلها الطيِّب كلّ حين بإذن الله، وما ثباتها وديمومتها إلاَّ بسبب جهود جبَّارة مخلصة بذلها أبناؤها وأحباؤها في جمعها وتدوينها، وتسجيل قواعدها وضبطها وشرحها، وبيان أساليبها وسماتها ودقائق تصرفها، والاحتفال بآدابها، حتى تمَّ لهم اختراع فنون شتى تقوم على خدمتها، ودراسات رائدة أعانت على بقائها حيَّة معطاءة ولقد رأى هؤلاء زيادة على ذلك أنَّ ممَّا يخدم عربيتهم الإبقاء على ألسنة الناطقين بها قويَّة فصيحة، خالية من شوائب اللحن والعجمة، وصيروا الأمر واجباً ألزموا أنفسهم القيام به وتنفيذه، فطفق كثير منهم ينبهون على أساليب تقع في كلام الناس وكتابتهم مما عدوه مخالفاً للأصول والقواعد والضوابط الصحيحة فكانت مصنفات هدف أصحابها تقويم الألسن وإصلاح أغاليط الكتاب وبيان ما تلحن فيه العامة وتتوهم فيه الخواص.

ويعدُّ النحو في أيَّة لغة العمود الفقري لها ؛ لأنَّها لا تستقيم إلاَّ به ومن دونه يبقى الكلام مجرد ركام من الكلم لا يحصل به فهم أو إفهام، لذلك أولاه الدارسون أهمية خاصة في المجالين العلمي النظري أو التعليمي التطبيقي، ونظراً للضعف اللغوي الذي ازداد بمرور الزّمن وأصبح ظاهرة عامة في الوطن العربي فقد اتفق معظم الباحثين العرب بإصلاح تعليم اللغة العربية وتذليل صعوبتها وحلّ مشكلاتها، أن تعليم نحوها أحد هذه المشكلات الكبرى فهو السبب الرئيس في ضعف الناشئة العرب وفي جميع مراحل التعليم لذلك تعددت دعوات

إصلاحه ففي مصر والعراق وبلدان أخر كانت هذه الدعوات، وبعد شرح لبدايات تيسير النحو في العراق يجده القارئ في أثناء البحث، درست علماً من أعلام اللغة العربية في العراق ومحاولته لتيسير النحو وإصلاحه، هو الدكتور مهدي المخزومي (١٩١٩-١٩٩٣) ولد في النجف وكانت نشأته فيها فأتقن العربية وكان لامعاً فيها طامحاً متفتح الفكر على آفاق المستقبل ولم يكن مقيَّداً بقيود المحافظة التي منعت غيره من التطور الفكري والعلمي وأفردت تمهيد البحث للحديث عن حياته ومؤلفاته.

يتفرع الحديث عن جهد المخزومي في الدرس النحوي إلى فرعين: أحدهما يتصل بالآخر اتصالاً وثيقاً، فأولهما إطلاع الدكتور المخزومي على الدرس النحوي القديم واستيعابه ووعيه وعي عالم مجتهد فيه لا وعي مدرس يردد أقوال السابقين، وآخرهما الاطلاع بوعي أيضاً على قضايا علم اللغة الحديث ومناهجه من خلال مواكبته محاضرات المستشرقين حين كان في القاهرة ومن خلال محاضرات أساتذته الذين كان لهم شأن في الدراسات النحوية واللغوية كإبراهيم مصطفى وأمين الخولي وطه حسين ومصطفى السقا وغيرهم من الكبار، أما محاولته في تيسير النحو فتتمثل في كتابين مهمين أصدرهما:

الأول: في النحو العربي - نقد وتوجيه.

والآخر: في النحو العربي - قواعد وتطبيق.

وقد عرضت لهذين الكتابين وما بثه من آراء في تيسير النحو العربي بالتفصيل في طيات البحث.

التمهيـــد

حياة المخزومي وآثاره

حياته: هو مهدي بن الشيخ محمد صالح بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد صالح آل زايردهام الشهير بالمخزومي، ولد في النجف الأشرف عام ١٩١٩م. في محلة العمارة[١]، من أسرة عربية عريقة تعرف بـ (آل زايردهام) هاجرت من العمارة (جنوب العراق)

إلى النجف في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة وتعود بالنسب إلى قبيلة بني خالد، وهم بطن من مخزوم [٢]، ولد المخزومي من أسرة كريمة وذاقَ اليتم صغيرا، فقد توفي والده وهو صغير لم يتجاوز عمره السنتين، وفقد والدته قبل أنْ يتمّ الخامسة، وعاش في كنف أخيه الكبير، وبعد أنْ تعلَّم القراءة والكتابة، وختم القرآن دخل مدرسة الغري الأهلية، وتخرَّج فيها، ثم دخل المتوسطة ولم يتمّ الصف الأوّل منها وانحاز إلى الدراسة القديمة فدخل مجموعة الجامع الهندي وأخذ يدرس المقدمات [٣]، وفي الجامع نفسه درس النحو والبلاغة على الشيخ محمد تقي صادق، والشيخ مهدي الظالمي[٤]، ثم درس معالم الأصول على الشيخ عباس المظفر. ومن غير أن يكون راغباً في مثل هذه الدراسة إلاَّ أنَّ عمَّه وأخاه ألحَّا عليه فقبلها على مضض وعلى الرَّغم من ذلك كلّه فقد ساعدته هذه الدراسة كثيراً إذ جعلت منه تلميذاً بارزاً بين أقرانه فيما بعد،وفي عام ١٩٣٥ م فارق الدراسة الدينية إذ عيِّن وكيل معلم في مدرسة سوق الشيوخ الابتدائية في لواء المنتفق[٥]. وكان الأدب هاجسه فانتسب إلى جمعية الرّابطة العلميّة الأدبيّة في النجف الأشرف والتي كانت تهدف إلى بثّ الرُّوح العربية وتنمية الشعور القومي وخدمة العربية وآدابها وقد كان رئيسها الشيخ محمد علي اليعقوبي ومن أعضائها البارزين محمود الحبوبي ومحمد علي البلاغي [٦].

وفي عام ١٩٣٨ م في الشهر العاشر منه التحق بالبعثة العلمية إلى مصر واستمر بدراسته في الجامعة حتى أتمَّ المرحلتين الأولى والثانية ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية اضطرت وزارة المعارف العراقية إلى سحب الطلبة العراقيين من مصر، وفي إثر ذلك عاد المخزومي إلى وطنه وعين مستخدما على الملاك الابتدائي في إحدى مدارس لواء الديوانية[٧]، واستمر على هذا المنوال حتى عام ١٩٤١ م إذ عاد إلى جامعة فؤاد الأول وراح يدرس العربيّة على يد كبار الأساتذة هناك

أمثال: طه حسين وعبد الوهاب حمود وعبد الوهاب عزام و أحمد أمين وأمين الخولي وإبراهيم مصطفى وغيرهم ودرس الفلسفة على يد الدكتور إبراهيم بيومي مدكور كما درس التاريخ على يد الدكتور حسن إبراهيم حسن [٨].في عام ١٩٤٣م عاد إلى العراق وعيِّن مدرساً في دار المعلمين الريفيّة في الرستمية لأربع سنوات، درَّس فيها مادة الأدب العربي وفي عام ١٩٤٧ م عاد إلى جامعة فؤاد الأوّل لإتمام دراسته العليا (الماجستير) فأعد رسالة علميّة رصينة عنوانها (الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه) بإشراف الأستاذين أمين الخولي وإبراهيم مصطفى[٩]. واستمر في دراسته من دون انقطاع لنيل شهادة الدكتوراه وكانت رسالة علمية أيضاً عنوانها (مدرسة الكوفة النحوية ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) بإشراف الأستاذ مصطفى السقا، أثبت فيها جدارة فائقة إذ أقدم على مثل هذا العمل الذي لا يقدم عليه إلا ذوو المواهب الخاصة، وقد نالت هذه الدراسة الاهتمام الواسع في مصر وغيرها من البلدان العربية[١٠].

وفي عام ١٩٥٣م عاد المخزومي إلى وطنه، إذ عيِّن مدرساً في كلية الآداب والعلوم في بغداد، وراح يلقي المحاضرات في مادة النحو العربي على طلبة هذه الكلية، وفي الوقت نفسه كان يقوم بإلقاء المحاضرات على طلبة دار المعلمين العالية، واستمر على ذلك حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، فعهدت إليه عمادة كلية الآداب في جامعة بغداد ولم يكن راغباً فيها[١١].

وفي عام ١٩٦٣ م وعلى الرغم من ذلك الذي قدَّمه وجد نفسه في كلية من كليات الآداب خارج العراق[١٢]، وفي غربته هذه عهدت إليه رئاسة قسم اللغة العربية في كلية آداب جامعة الرياض، فتولاها وكان نعم المتولي، قام بها خير قيام، حتى قال عنه صديقه مسؤول كبير: جعلوا الجامعة جامعة، وقال آخر رفعتم رأس الأستاذ الجامعي، وثبتم أنَّ في الوطن العربي أساتذة[١٣]،

ولعلَّ هذه المرحلة من حياته كانت مرحلة صعبة، اذا لم تكن أصعب المراحل، إلا أنه لم يفقد عزمه المتواصل، وإذا به يخرج إلينا بأرقى أعماله العلمية التي ستبقى آثارها خالدة خلود النحو العربي، كتابيه: (في النحو العربي: نقد وتوجيه) و (في النحو العربي:قواعد وتطبيق) اللذين نال عليهما جائزة من الحكومة السعودية على أنهما من الأعمال العلمية الراقية التي رفعت من سمعة هذه الجامعة [١٤].

وفي عام ١٩٦٨ عاد إلى وطنه واستمر في أداء رسالته العلمية دون كلل، فيلقي بما يحمله في آداب بغداد وكلية أصول الدين وكلية الفقه، وتعهد إليه رئاسة قسم اللغة العربيَّة في كلية الآداب جامعة بغداد مطلع السبعينات، ولكن المياه ما كانت لتجري دون تعكير، وإذا بالرجل يتحمل صابراً مترفعاً عن الشكوى مقتنعا بزاوية من بيته، لم تلبث أن استحالت إلى ندوة مصغَّرة، يلتقي فيها الأحباب من المثقفين والمفكرين، وللغة حظٌّ وافرٌ من حظوظها [١٥].

وفي ظهر اليوم الثاني عشرمن رمضان عام ١٤١٤هـ الموافق الخامس من آذارعام ١٩٩٣في يوم الجمعة وبينما هو في حلقة من طلبته يجيب عن سؤال لأحد تلاميذه حول قياس الخليل وفي أثناء إجابته وضع يده على جبهته واتكأ فجأة على كرسي مسبلاً يديه وكأنما أخذته إغفاءة فكانت إغفاءته الأخيرة[١٦]. رحل عالم النحو الدكتور مهدي المخزومي المربي والقدوة الحسنة والأدب الجمّ وصاحب المنطق السّديد،والعقل المنظم والمنهج العلمي في التدريس وفي البحث..

آثاره:

أ- كتبه المطبوعة: [١٧]

١- الخليل بن أحمد الفراهيدي،أعماله ومنهجه:الكتاب في الأصل رسالة ماجستير أعدها في جامعة فؤاد الأوّل عنوانها الأصلي (مذهب الخليل النحوي)، طبع الكتاب طبعتين:

بغداد، مطبعة الزهراء،١٩٦٠م

بيروت، دار الرائد العربي،١٩٦٨م

٢- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة

اللغة والنحو:

وهي رسالة أعدها لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة فؤاد الأوَّل ولقد طبع الكتاب ثلاث طبعات:

- بغداد، دار المعرفة،١٩٥٥
- القاهرة، مطبعة البابي الحلبي،١٩٥٨
- بيروت، دار الرائد العربي،١٩٦٨

٣- في النحو العربي نقد وتوجيه:

طبع الكتاب مرتين هما:

بيروت،المكتبة العصرية،١٩٦٤

بيروت، دار الرائد العربي،١٩٦٨

٤-في النحو العربي –قواعد وتطبيق:

طبع الكتاب طبعتين هما:

- القاهرة، مصطفى البابي الحلبي،١٩٦٦
- بيروت، دار الرئد العربي،١٩٦٨

٥- عبقري من البصرة:

طبع هذا الكتاب ثلاث طبعات هي:

- بغداد، دار الشؤون الثقافية،١٩٧٢م
- بيروت، دار الرائد العربي،١٩٨٦
- بغداد، دار الشؤون الثقافية،١٩٨٩

٦-الدرس النحوي في بغداد:

طبع هذا الكتاب مرتين هما:

- بغداد،دار الحرية،١٩٧٥
- بيروت، دار الرائد العربي،١٩٨٧

٧-أعلام في النحو العربي:

طبع هذا الكتاب في بغداد، دار الحرية،١٩٨٠،سلسلة الموسوعة الصغيرة، ع٦٠

٨- قضايا نحوية: المجمع الثقافي، ابو ظبي، ٢٠٠٢.

ب- مقالاته وبحوثه [١٨]

بدأ المخزومي النشر في المجلات منذ عام ١٩٣٩ والمتتبع لهذه المقالات المنشورة يجد أنَّ المخزومي لا يلتزم باختصاص دون سواه، فهو واسع الثقافة مسلم بأطرافها، فتارة تجده أديباً ناقداً من طراز خاص، وتارة تجده نحوياً،وأخرى مؤرخاً،وقد بلغت مقالاته وبحوثه أكثر من أربعين مقالة وبحثاً.

ج- آثاره التي اشترك بها مع غيره [١٩]

١- اشترك مع الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور إبراهيم السامرائي والأستاذ رشيد بكتاشفي جمع وتحقيق ديوان الجواهري بأجزائه السبعة وقد طبع في وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٣- ١٩٨٠.

٢- اشترك مع الدكتور إبراهيم السامرائي في تحقيق كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي بأجزائه الثمانية، وقد

طبع الكتاب في وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية، ١٩٨٠ - ١٩٨٢ - ١٩٨٥، إلاَّ الجزء الأوّل فقد تولَّت طبعه دار الرِّسالة في الكويت عام ١٩٨٠.

د - مخطوطاته [٢٠]

١- كتاب أسماه (ملاحظات):

يقع الكتاب في حوالي ١٠٠ صفحة من القطع الكبير.

٢- كتاب أسماه (قضايا في النحو وتاريخه):

يقع في حوالي ١٥٠ صفحة من القطع الكبير.

٣- إعادة تحقيق الأجزاء الأربعة الأولى من كتاب العين.

٤- اشترك مع الدكتور عبد الجبار المطلبي في كتاب (مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن) لمؤلفه موسكاتي، ترجمة: د.المطلبي وتولى الدكتور المخزومي التعليقات.

المبحث الأوَّل

قضية تيسير النحو

لقد اتسمت محاولات الإصلاح اللغوي في تاريخ العربية في كثير من الأحيان بصفة الصراع بين القديم والجديد، فالمحافظة على القديم وعدم مسِّه بتغيير في مجال اللغة المنطوقة أو قواعد النحو أو الكتابة والإملاء، وهو اتجاه كان لدى جملة من علماء العربيَّة القدامى الذين وقفوا في وجه المحدث المولد في اللغة والأدب، فمنذ إشارة أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) لشعر جرير والفرزدق بانَّه محدث مع استحسانه بقوله:(لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت بروايته) [٢١]. وموقف الأصمعي من شعر ذي الرِّمة الذي وصفه (أنَّه لا يشبه شعر القدماء وكذا شعر الكميت)[٢٢]. وكلُّ هؤلاء الشعراء من العصر الأموي، ثم موقف ابن الإعرابي الذي رفض الجديد على الرَّغم من استحسانه أحياناً دون أنْ يدري بأنَّه جديد لا لسبب إلاَّ لأنّ صاحبه معاصر له وليس جاهلياً[٢٣]. ثم قول ابن فارس (ت٣٩٥هـ): (وليس لنا اليوم أنْ نخترع ولا أنْ نقول غير ما قالوه ولا أنْ نقيس قياساً لم يقيسوه ؛ لأنَّ في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها)[٢٤].

هذا الاتجاه المحافظ من الحياة

والفكر والأدب طبيعي إذ بواسطة الحوار بين الجديد والقديم يكون التقدم في مجالات الحياة فكل قديم كان حديثاً في عصره وكل جديد يكون قديماً بعد عصره ولا يدوم شيء إنساني في الحياة على حال، إنَّما التغيير يصيب كلّ شيء ولكن بنسب ومقدار لاسيما في مجال الثوابت عامة، فقد كانت للإصلاح في مجالات الحياة والمجتمع والعلوم ومناهجها في عصر اليقظة والنهضة الحديثة واحتكاك العرب بحضارات الأمم الأخرى والأوربية منها خاصة محاولات وآثار، ففي مجالنا اللغوي كانت محاولات جادة للإصلاح لإيجاد السبل التي تستطيع بها العربية استيعاب العصر وما جد فيه من حضارة وتقدم وهناك مسافة واسعة بين حال الأمة العربية والحضارة الحديثة، لذا أصبحت اللغة تحتاج إلى مضاعفة الجهد لسدّ الثغرات الواسعة والنقص اللغوي في المصطلحات والمفردات.

لقد بُذل جهد كبير في المجال اللغوي على صورتين: إحداهما صورة الجهد الفردي والأخرى صورة الجهد الجماعي الرسمي وقد تتداخل الصورتان فيقوم الأفراد من العلماء بجهد فردي ومن خلال المؤسسات الرسمية معا، تمثل ذلك في تأليف المعجمات التي وضعت بعد اتساع المجال المعلوماتي بصناعة المعجم، ثم بذل الجهد في مجال المصطلح وكان ذلك في وقت مبكر من هذا القرن بل منذ قيام رفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣م) في مصر بتعريب أو إيجاد مصطلحات بعد عودته من بعثته الى فرنسا بما أفاده من ثقافته الجديدة أو التراثية ظهر ذلك في كتابيه: تلخيص الابريز، والتحفة المكتبية [٢٥]. ثمّ ما كان من الجهد الذي بذلته وزارات التعليم في مصر والشام والعراق ولبنان وما قام به اللغويون في تعريب مصطلحات الجيش والعلوم المختلفة وتأليف المعاجم كالأستاذ عبد الله العلايلي في لبنان وانستاس الكرملي ومصطفى جواد في العراق وغيرهم ثم جاء تأسيس المجامع العلمية في مصر عام ١٩٣٤م، ودمشق عام ١٩٢٨م،

والعراق عام ١٩٤٧م، وعمّان عام ١٩٧٦م، واضطلاعه بهذه المهمة ثم تأسيس الجامعات بكلياتها العلمية والإنسانية على امتداد الوطن العربي.

وكان لهذا السبب أثره الكبير في إشاعة الثقافة والعلم في توسيع آفاق العربية بالتأليف والترجمة الإنسانية والمشاركة في المؤسسات اللغوية بجهد أساتذتها وما يدخل في مناهجهم الإنسانية العلمية من دراسة المعاجم والمواد اللغوية الأخرى، ثم ما قامت به جامعة الدول العربية بإقرارها مشروع ميثاق الوحدة الثقافية عام ١٩٦٤م، وإعلانها قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقد تكونت عنها مجموعة مؤسسات هي: معهد المخطوطات العربية، ومعهد البحوث والدراسات العربية، ومكتب تنسيق التعريب، والمركز العربي للتقنيات التربوية، ومعهد الخرطوم الدولي للغة العربية لغير الناطقين بها والجهاز العربية لمحو الأمية وتعليم الكبار والمركز العربي لبحوث التعليم العالي والمكتب الإفريقي لشرق إفريقيا وصندوق تنمية الثقافة في الخارج [٢٦].

إنَّ هذه المؤسسات المنبثقة عن الجامعة العربية لو أدت عملها كما ينبغي له لازدهرت الحياة اللغوية التي هي الشكل والمضمون لهذه الأمة، وقد عقدت هذه المؤسسات عدة مؤتمرات وندوات وأصدر مكتب تنسيق التعريب بالرباط مجلة (اللسان العربي) وهي متخصصة في البحث المعجمي والمصطلحي [٢٧].

أما الجهد في إصلاح النحو العربي فلم يمر عصر إلا وبذل فيه العلماء ما يستطيعون في نشر هذه اللغة وتعليم قواعدها واتباع كل الوسائل للمحافظة عليها، فمنذ ظهور كتاب سيبويه وتتابع العلماء في تأليفهم كتب النحو التي كانت تسير في اتجاهين: أحدهما يعنى بعلم النحو وشرح قواعده بصورة شاملة كما كان في الكتاب والمقتضب للمبرد والأصول لابن السراج، أما الإتجاه الآخر من التأليف فهو يتمثل بالكتب المنهجية التعليمية

الميسرة ورسائل إصلاح اللسان وتقويمه مثل:

ما تلحن فيه العامة للكسائي (ت١٨٩هـ) وإصلاح المنطق لإبن السكيت (ت٢٤٤هـ) وأدب الكاتب لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وغيرها من الموجزات والكتب الميسرة في قواعد العربية [٢٨].

لقد كان دعاة الإصلاح العرب من المثقفين والعلماء مهتمين بكيفية إعادة الحيوية للغة العربية التي ما زالت إمكاناتها وقدراتها الذاتية قابلة للتطور والإنتشار مستفيدة من تجاربها الغنية في عصور ازدهارها اذ كانت لغة عالمية للمسلمين كافة من شعوب الأرض كافة، كان هذا الجهد منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الذي بدأ بملامح نهضة أدبية على ألسن الشعراء في مصر والشام والعراق والمغرب العربي، وبدايات النهضة العلمية في الإحتكاك بالحضارة الغربية والإطلاع على التقدم الحاصل في تلك البلاد.

إن أوائل محاولات الإصلاح في العربية ما قام به أحد علماء الأزهر رفاعة الطهطاوي (ت١٨٧٣م) في مصر مستفيداً من خبرة الأوربيين في تعليم لغاتهم ومتأثراً بجهد المستشرق ديساسي في التأليف النحوي فالف كتابه (التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية) فأدخل فيه أساليب جديدة أفادها من مناهج الفرنسيين في عرض النحو في أثناء إقامته في فرنسا، فجاء على غير ما ألفه الأزهر من شروح وحواش اذ جاء بسيط العبارة واضحاً وقد استعمل الجداول الإيضاحية [٢٩].

وتعاقبت المحاولات لتأليف الكتب الدراسية المبسطة في العربية لسد حاجة المدارس في الدول العربية، فظهرت كتب في لبنان ومصر والشام والعراق بهذا الإتجاه عناوينها توحي بالتغيير والتسهيل في تبويبها تقدم لطلبة المدارس والجامعات ولكنها لا تختلف في منهجها كثيراً مثل النحو الواضح والنحو الوافي والتطبيق النحوي والنحو الميسر والنحو الوظيفي [٣٠].

وكان لوزارات المعارف والتربية في الأقطار العربية إهتمام في هذه القضية ويزداد الإهتمام كلما اتسع مجال التعليم إذ تلح الحاجة الى توفير مناهج ميسرة للمتعلمين ليتخفف العبء على الدارس الذي يواجهه ويعانيه في قراءة الكتب القديمة، ثم محاولة تنمية المهارات اللغوية للمحافظة على سلامة العربية وتقوية المناعة اللسانية مقابل ما يراد لها من مكائد، فكانت دعوة وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٣٨م، وتألفت لجنة لهذا الغرض ثم ما قام به المصلحون في وزارة المعارف في العراق والشام والمغرب العربي، لكن هذا الجهد كان يعوزه التنسيق والتخطيط في تطوره وتطبيقه،، كذلك كان للجهد الفردي أثر في مجال تيسير النحو تمثل بجهد إبراهيم مصطفى وكتابه (إحياء النحو) الصادر عام ١٩٣٧م، وما شارك فيه عن طريق المجمع اللغوي أو وزارة المعارف في تأليف الكتب وعقد الندوات لمناقشة هذه القضية المهمة والصعبة ومحاولة وضع الحلول لها، وكذلك محاولة محمد كامل حسين عام ١٩٧٢م، ومحاولة الدكتور مهدي المخزومي في كتابيه (في النحو العربي) وجهد الدكتور أحمد عبد الستار الجواري في كتابه (نحو التيسير) والدكتور شوقي ضيف في كتابيه (تجديد النحو) و(تيسير النحو التعليمي).

كما كان للبنان والشام جهد في ذلك كجهد أنيس فريحه وغيره ممن كتب في هذا المجال، وفي النصف الثاني من القرن الماضي ظهرت آثار مناهج علم اللغة الحديث في كتابات المشتغلين في حقل اللغة من أساتذة الجامعات فمنهم من كانت له محاولة تجمع بين القديم والحديث في دراسة العربية على وفق منهج حديث وأوضح دارس في هذا المجال الدكتور تمام حسن في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)، وكذلك ما كان في دراسات كمال بشر ومحمود السعران وإبراهيم أنيس وعبد الرحمن أيوب وغيرهم [٣١].

وقضية تيسير النحو كأنها ولدت مع

ميلاد النحو لكنها اتخذت صوراً مختلفة باختلاف العصور، فالنحو العربي في بدايته، كان نحواً تعليمياً فقد ارتبطت نشأة النحو بالمحافظة على القرآن الكريم وسلامة لغته وأدائه، والكتاب الذي وصل الينا كتاب -سيبويه- شمل مجالات اللغة، وهي أوسع مما يتطلبه المبتدئ في تعلم النحو، لذلك احتاج النحويون الى مقدمات مبسطة للناشئة في ذلك المجال، فألفت الموجزات والمتون البسيطة، ثم أن النحو كغيره مما لدى الأمم الأخرى لم ينشأ لدراسة اللغة من أجل ذاتها إنما نشأ لخدمة القرآن الكريم والمحافظة على لغته، لذلك احتوت قواعده على العربية بمختلف لهجاتها فدخل فيه اختلاف اللهجات واختلاف القراءات بمستوياتها المختلفة الكثيرة القياسية والنادرة القليلة [٣٢].

ولما أقام النحويون نحوهم على أسس أهمها: السماع والقياس والتعليل، ظهر منهجان في استخدام هذه الأسس:-

أحدهما: سمي بالمذهب البصري الذي أراد توحيد القواعد والحكم على الأساليب على وفقها،

والآخر: سمي بالمذهب الكوفي الذي استوعب أساليب العرب، ووضع قواعد على وفقها، وأقرب قول لهذا الإتجاه الذي يحترم النص المسموع قول أبي عمرو بن العلاء حين سأله بعض معاصريه (أخبرني عما وضعت مما سميته عربية أيدخل فيها كلام العرب كله ؟ فقال: لا، فقال له:كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهي حجة ؟ قال: أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات) [٣٣].

إن هذا القول هو الصائب في هذا المجال ما دام النحويون وضعوا قواعدهم العربية بلهجاتهم المختلفة، لكن النحويين لاسيما البصريين منهم قاسوا على الأكثر الأعم وحكموا على ما خالفهم بالشذوذ والرفض، فكثر لديهم التعليل والتأويل محاولين أن يدخلوا هذا القليل في ضمن قواعدهم وإلا رفضوه، فبدأ النحو يتعقد ويصعب منذ مرحلته الأولى في القرن الثالث.

ومما عقد النحو شيئان:

أحدهما إدخال المنطق والفلسفة في قضايا النحو، وقد اتضح ذلك لدى نحويي القرن الرابع للهجرة، وعلى رأسهم أبو الحسن الرماني (ت٣٨٤هـ)، الذي كان يمزج نحوه بالمنطق، فأستعمل القياس المنطقي، الشيء الآخر الذي عقد النحو، ويتصل بسابقه هو توقف السماع والإستشهاد عند منتصف القرن الثاني في مجال الشعر، وفي نهاية القرن الرابع في مجال النثر، ولما توقف السماع صار إعتماد النحويين على القياس [٣٤].

أما المسموعات فكانت محدودة بما كان لدى النحويين الأوائل فتفننوا بتفريع القياس والعلل والتأويل فكان بذلك تفخيم النحو دون أن يأتوا بجديد فيه، وكأنما توقف الإجتهاد عند نحويي القرن الثالث وآخرهم المبرد وثعلب، أما من جاء بعد هذا القرن فكان له أن يعيد ترتيب أو شرح المواضيع والأبواب في كتاب سيبويه دون أن يتعداه في الرأي والقاعدة إلا في الشرح والتوضيح [٣٥].

ثورتان في مجال النحو:

لقد كان في تاريخ النحو العربي ثورتان في مجال المنهج، إحداهما: في القرن السادس الهجري على يد إبن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ) صاحب كتاب (الرد على النحاة) وكان يدعو إلى العودة بالنحو إلى منابعه الأولى وأن يقوم على الإستقراء، فدعا إلى إلغاء فكرة العامل التي اتسعت بسبب إستخدام النحويين للمنطق كما دعا إلى إلغاء القياس المنطقي والعلل المنطقية وفروعها والإكتفاء بالقياس اللغوي كما دعا الى إلغاء التمارين غير العملية التي كان النحويون يتخذونها لتمرين الدارسين على الجدل، ولا صلة لها بالدرس اللغوي، ودعا أيضاً إلى إلغاء أبواب في النحو، وهي التي أوجدتها فكرة العامل وتمسك النحويين بها مثل: باب الإشتغال، وباب التنازع، وكأنه مال إلى قول الكوفيين في ذلك، وقد ذهب الدكتور المخزومي إلى أنَّ إبن مضاء القرطبي أقرب الى منهج الكوفيين

اللغوي فقد نقد نحويي البصرة ومنهجهم في النحو، لكنه لم ينتقد أحداً من الكوفيين كالكسائي والفراء وإنما اخذ بآرائهم في كتابه [٣٦].

أما الثورة الأخرى فهي الدعوة الى تيسير النحو حديثاً، وقد بدأت في مصر بداية حقيقية على يد إبراهيم مصطفى، ومن عمل معه وما شارك فيه من لجان في ثلاثينات القرن الماضي، ثم تطورت هذه المحاولة على يد الدكتور مهدي المخزومي، وأحمد عبد الستار الجواري بعد ذلك، وقد كثر الداعون الى تيسير النحو ولكن معظم هؤلاء كان التيسير لديهم امتداداً للجنة وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٣٨م، الذي ينحصر في حذف مواضيع وتعديل أخرى واختصارها، لكن اتجاه إبراهيم مصطفى والمخزومي يهدف من التيسير إصلاح المنهج في دراسة النحو لا التخفيف من مواضيعه بحذف بعضها كما كانت دعوات أغلب من دعا الى تيسير النحو، وأهم المحاولات التي كانت هي محاولة الدكتور شوقي ضيف منذ كتابة مقدمة كتاب إبن مضاء (الرد على النحاة) الذي نشره سنة ١٩٤٧، وما ألفه ونشره بعد ذلك في مجال التيسير [٣٧].

لقد تناولت محاولة إبراهيم مصطفى في كتاب (إحياء النحو) الصادر سنة ١٩٣٧م، علامات الإعراب وهي كانت محور محاولته في كتابه، وتناول فكرة العامل مفنداً إياها ثم بناء الجملة وأركانها ومكوناتها من مسند ومسند اليه وتوابع وما يخص الإسم والجملة الإسمية في مجالها النحوي[٣٨]، فهو ثبت فكرة إصلاح المنهج النحوي، وجاء بعده الدكتور مهدي المخزومي فكانت محاولته مكملة ما بدأ به إبراهيم مصطفى ودرس ما لم يتعرض اليه من مواضيع كالفعل والجملة الفعلية، فكانت محاولته شاملة لقضايا النحو وتطبيقاته في كتابين هما: (في النحو العربي – نقد وتوجيه) و(في النحو العربي – قواعد وتطبيق)، فالكتاب الأول آراء في تيسير النحو وإصلاح منهجه بحيث فيه علامات الإعراب ودلالتها، ثم

خصص قسمه الأخير لدراسة أساليب الجملة اللغوية، وصور تركيبها وجمع في كل إسلوب ما تناثر في أبواب النحو في الكتب القديمة، فأدوات النفي جميعا درسها في إسلوب النفي وأدوات التوكيد وصورها جمعها في إسلوب التوكيد وهكـــذا دون النظر إلى فكرة العامل التي شغلت تاريخ النحو العربي، وكانت سبباً لتعقيده وتضخيمه وعدم الإهتمام بأساليب الجملة اللغوية موجهاً النظر الى منهج يهتم بوظيفة الكلمة في الجملة وما تؤديه من دلالة مع ما يجاورها لتتعاون على إنتاج المعنى الذي يريده المتكلم ويفهمه المتلقي[٣٩]. اما الكتاب الثاني فقد جعله تطبيقاً لهذه الآراء التي ثبتها في كتابه الأول، وهذا الكتاب جعله كتاباً منهجياً يعنى بالتطبيق، وكذا كانت محاولة الدكتور أحمد عبد الستار الجواري في كتابه (نحو التيسير) وما ألفه في (نحو الفعل) وغيره من مباحثه[٤٠].

إنَّ محاولة تيسير النحو العربي وإصلاح منهجه ضرورة لا بد من استمرارها والعناية بها، ولكن ينبغي أن تقوم على أساسين مهمين هما: العلم والتجربة، بعد ما مر بها من الجمود وإلا فقدت مصداقيتها وفائدتها، وبذلك يكون الدكتور المخزومي رائداً لتيسير النحو في العراق.

المبحث الثاني

جهد الدكتور المخزومي في تيسير النحو

لقد أجمع الباحثون المنصفون على أنَّ الدكتور المخزومي واحد من أولئك الأفذاذ الذين خلدهم التاريخ بأفكارهم النيرة، وعطائهم المتميز، وهو علم من أعلام النحو المعاصر في الوطن العربي يذكر مع القلائل الذين تركوا بصماتهم على الفكر النحوي المعاصر لأنه كان مجدداً ومنظراً متميزاً، وكان لهذا التميز عوامل أهلته أن يكون في هذا المقام الرفيع، ومن تلك العوامل البيئة الفكرية التي ولد وترعرع فيها وهي مدينة النجف الأشرف التي تزخر بعلوم الفقه والتفسير والحديث والنحو والمنطق، وتعنى بالشعر ونقده،

فاستوعب منها خزيناً ثراً وعلماً جماً، ومن هذه العوامل أيضاً اختياره الدقيق لمواضيع دراسته العليا في مصر، فاختار الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو العقل المبدع الذي أنضج النحو وأكمل بناءه في ذلك العصر، واختار المذهب المنافس لمذهب البصريين فدرس مذهب الكوفيين وهذا الإختيار الموفق أعانه على فهم النحو العربي فهماً عميقاً مبتدئاً من جذوره ومنتهياً عند قمة تطوره ونضجه، فوقف عند أصول النحو وأحكامه وعلله وعوامله وتأويلاته، وعوامل تأثره وتأثيره في العلوم الأخرى.

يتفرع الحديث عن جهد المخزومي في الدرس النحوي الى فرعين، أحدهما يتصل بالآخر اتصالاً وثيقاً: فأولهما إطلاع المخزومي على الدرس النحوي القديم واستيعابه ووعيه ووعي عالم مجتهد فيه لا وعي مدرس يردد أقوال السابقين[٤١]. من هنا تظهر مقدرته على توجيه الدرس النحوي بصورته التي رآها ومباحثه في النحو العربي،وهذا يؤدي الى الفرع الثاني من الحديث وهو جهده في تيسير النحو.

والنحويون في تاريخ النحو العربي قسمان: قسم علماء في النحو مجتهدون، فهؤلاء أصحاب تنظير في تعقيدهم اللغوي، وذوو منهج في تطبيق نظرهم، فلهؤلاء أثر في تلامذتهم وحلقات دروسهم منهم الخليل بن أحمد الذي هو سيبويه (الكتاب) بعلمه و إملاءاته ثم الكسائي والفراء وثعلب والمبرد وإبن مضاء القرطبي، هؤلاء من القدامى ونستطيع ان نذكر من المحدثين إبراهيم مصطفى والمخزومي وتمام حسن، اما القسم الآخر فهم مدرسون للنحو على إختلاف قدراتهم ومنازلهم منهم شراح كتاب سيبويه كالرماني والسيرافي، ومؤلفو المتون التعليمية كالزجاجي وإبن جني وأبي بكر الزبيدي، وكذلك شراح هذه المتون ثم الدائرون في فلك كتاب سيبويه لكنهم بوبوه تبويباً جديداً كالزمخشري في مفصّله وإبن مالك في ألفيته ثم شراحهما، ومن المحدثين

نذكر المرحوم عباس حسن والغلاييني وغيرهما كثير[٤٢].

إنَّ المخزومي من علماء النحو المعروفين في عصرنا، كانت له محاولة في تيسير النحو بنى أسسها على معرفة وإطلاع واع لتراث النحو العربي اذ لم تكن قراءته للتراث قراءة مستهلكة كما هي قراءة كثير ممن عنوا بهذا العلم على امتداد تاريخ النحو العربي الذين أعادوا ما قاله سابقوهم وكرروه في كتبهم ومباحثهم، ولم تكن قراءته ناقدة فقط تكتفي بنقد النموذج وتحاول تحطيمه دون وضع البديل الناضج أو اقتراحه كما هو الغالب على قراءة إبن مضاء القرطبي في رده على النحاة.

إنما كانت قراءة المخزومي قراءه إبداعية فيها خلق ومحاولة تجديد[٤٣]. والى جانب هذه القراءة الواعية للتراث النحوي كان على إطلاع بشكل وبآخر على قضايا علم اللغة الحديث ومناهجه من خلال مواكبته محاضرات المستشرقين حين كان في القاهرة ومن خلال محاضرات أساتذته الذين كان لهم شأن في الدراسات النحوية واللغوية كابراهيم مصطفى وأمين الخولي[٤٤]. وكان للعلماء العرب في اتجاههم الذي إختطوه لأنفسهم بإعتماد المفردة أساساً في البحث ما يسوغه في ذلك الوقت، اذ كان المتعلمون من الأعاجم والعرب غير الفصحاء يلحنون كثيراً في إعراب المفردات، ومنها مفردات القرآن الكريم، ولا يدركون دلالة الجملة إلّا من خلال الوصول الى إعراب المفردات فيها لأن الإعراب يعني الإبانة والإفصاح عن المعنى، لذا غضوا النظر عن الإتجاه الصحيح الذي يقتضي دراسة الجملة ودلالتها والمعاني التي تحملها والعوارض التي تطرأ عليها ولم يبوبوا كتبهم في ضوئه، بل بوبوها تبويباً يراعي العامل في الإسم وما يشبهه وأثره في المعمول ويراعي تقسيم الكلمة إلى أسم وفعل وحرف والإعراب والبناء وغير ذلك من الأسس التي رجحت العوامل التعليمية على العوامل اللغوية الصحيحة التي ترمي إفهام المخاطب ومراعاة أحواله[٤٥]. وقد

تنبه الدكتور المخزومي على هذا الخلل الكبير الذي لم يجرؤ أحد على رفضه والدعوة الى تصحيحه ليسير النحو في اتجاهه الصحيح فقال مبينا رأيه في ذلك:

((وإذا وصل بنا الكلام الى هذا الحد كان لا بد لنا من أن نصحح نهج القدماء ونعيد الى هذه الدراسة اعتبارها الذي جار عليه تعنت النحاة وتمحلهم وجهلهم موضوع دراستهم وانتهاجهم منهجاً غريباً بعيداً كل البعد عن منهج هذه الدراسة، لعل الرجوع إلى أقدم الكتب التي ألفت في هذه الدراسة أعني كتاب سيبويه وكتاب معاني القرآن للفراء يوضح لنا الفرق بين نهج النحاة الأوائل ونهج النحاة المناطقة الذين أبعدوا في تجميد هذه الدراسة الحية وإثقالها بالقيود))[٤٦].

وكلام الدكتور المخزومي ينم عن إحساس واع بأهمية التغيير في اتجاه الدرس النحوي، وتحديد الإتجاه الصحيح من خلال حصر موضوعات الدرس النحوي في موضوعين أساسين قال في مقدمة كتابه في النحو العربي نقد وتوجيه (والدرس النحوي - كما ينبغي أن يكون - إنما يعالج موضوعين مهمين لا ينبغي أن يفرط الدارسون في واحد منهما لأنهما معا يمثلان وحدة دراسية لا تجزئة فيها:

١- الموضوع الأول: الجملة من حيث تأليفها ونظامها ومن حيث طبيعتها، ومن حيث أجزاؤها، ومن حيث ما يطرأ على أجزائها في أثناء التأليف من تقديم وتأخير، ومن إظهار وإضمار.

٢- الموضوع الثاني: ما يعرض للجملة من معان عامة تؤديها أدوات التعبير التي تستخدم لهذا الغرض كالتوكيد وأدواته، والنفي وأدواته، والإستفهام وأدواته، الى غير ذلك من المعاني العامة التي يعبر عنها بالأدوات التي تمليها على المتكلمين مقتضيات الخطاب ومناسبات القول)[٤٧].

ان محاولة الدكتور المخزومي في تيسير النحو تمثلت في كتابيه:

١- في النحو العربي - نقده وتوجيه.

٢- في النحو العربي - قواعد وتطبيق.

ففي كتابه الأول عرضت مباحثه أسساً للدرس النحوي وما ينبغي أن يكون عليه بدءاً بتعريفه للنحو ووظيفة النحوي وإنتهاءً بدراسته لأساليب التعبير التي هي من صميم الدرس النحوي وكانت كتب النحو تبعدها عن هذا الدرس ليتضمنها علم المعاني بوصفه قسماً من أقسام البلاغة، لكن المخزومي جعل هذا القسم جزءاً مهما في الدرس النحوي كما كان عبد القادر الجرجاني ينظر الى معاني النحو وأهميتها في فهم نظم الكلام والتراكيب في كتابه (دلائل الإعجاز) [٤٨].

عرف المخزومي النحو بأنه (عارضة لغوية تخضع لها اللغة من عوامل الحياة والتطور، فالنحو متطور أبداً لأن اللغة متطوره أبداً، والنحوي الحق هو ذلك الذي يجري وراء اللغة يتبع مسيرتها ويفقه أساليبها ووظيفة النحوي أن يسجل لنا ملاحظاته ونتائج اختباراته في صورة أصول وقواعد تمليها عليه طبيعة هذه اللغة، واستعمالات أصحابها وأن يصف لنا مثلا ما يطرأ على الكلمة أو الجملة وأوضاعها المختلفة)[٤٩].

يقول الدكتور زهير غازي زاهد (هذا التعريف للنحو وتحديد وظيفة النحوي لا نجدهما لدى أحدٍ من القدامى وإن كنا نجد تطبيقها لدى الأوائل من النحويين من أمثال الكسائي والفراء، لكن مدرسي النحو القدامى والمحدثين جعلوا من النحو قيوداً قاسية وأقوالاً وقواعد متداخلة ملبسة في كثير من الأحيان لا تؤدي الى تربية اللسان على الفصاحة إنما تؤدي الى شحن الحافظة بالقواعد النظرية والخلافات في التعليل والأقيسة التي يطبعها المنطق بطابعه وهو منهج غريب عن منهج اللغة كما كان يراه ويراه أيضاً أصحاب المنهج الوصفي [٥٠].

أما تيسير هذا العلم الذي ضج من صعوبته الدارسون والمدرسون فهو في رأيه: (ليس اختصاراً ولا حذفاً للشروح والتعليقات ولكنه عرض جديد لموضوعات النحو ييسر للناشئين أخذها

واستيعابها وتمثلها ولن يكون التيسير وافياً بهذا ما لم يسبقه إصلاح شامل لمنهج هذا الدرس وموضوعاته أصولا ومسائل، ولن يتم هذا – فيما أرى – إلا بتحقيق هاتين الخطوتين:

الأولى: أن نخلّص الدرس النحوي مما علق به من شوائب جرّها عليه منهج دخيل هو منهج الفلسفة الذي حمل معه هذا الدرس فكرة (العامل).

والثانية: أن نحدد موضوع الدرس اللغوي ونعين نقطة البدء به ليكون الدارسون على هدى من أمر ما يبحثون فيه) [٥١].

أما كتابه الثاني: (في النحو العربي – قواعد وتطبيق) فكان هو الجانب التطبيقي لنظريته في تيسير النحو العربي وفي هذا الكتاب رسم منهج كتاب جديد للنحو المدرسي مهذب جامع لأصوله وأبوابه تطبيقاً على ما رسمه كتابه (نقد وتوجيه) وسيكون الكتاب خالياً من النظريات التعسفية وما بني عليها من أبواب معقدة كنظرية العامل وبابي الاشتغال والتنازع ونائب الفاعل وأمثال تلك الأبواب التي وجد لها المؤلف حلولاً لغوية سهلة لا تحتاج الى النظر الفلسفي ولا القياس المنطقي[٥٢]. وهذا الكتاب أقرب منهجاً وأيسر سبيلاً للمتأدبين والمثقفين الذين يطلبون معرفة النحو العربي للاستفادة منه في القراءة والكتابة فضلاً عن طلاب المعاهد والكليات [٥٣].

لقد حاول الدكتور المخزومي في هذا الكتاب أن يقارن بين الدرس النحوي والمنهج اللغوي الحديث، فبدأ بشيء من الدرس الصوتي بذكر ترتيب حروف الهجاء في العربية هجائياً وصوتياً ثم تحدث عن أهمية دراسة الأصوات اذ عليها يتوقف فهم كثير من الظواهر اللغوية كالإبدال بأنواعه والإدغام وما يتصل به من فهم خصائص الأصوات مخارجها وصفاتها من همس وجهر وإطباق وانفتاح وغير ذلك، وكذلك اهتم بالمستوى الثاني الصرفي بدراسة بنية الكلمة لأنها تتألف من المادة الصوتية، فتحدث عن بناء الكلمة في العربية وذكر أن البناء الغالب في

العربية هو الثلاثي من الأسماء والأفعال أما الكنايات والأدوات فتقل أصولها أحياناً وقد تكون على حرف واحد [٥٤].

إنَّ هذا الكتاب فيه تيسير لمادة النحو لطلبة العربية فهو منهج تعليمي ميسر حاول فيه المخزومي أن يبعد الخلافات النحوية التي شغلت النحويين كما حاول فيه أن يسقط فكرة العمل والعامل وآثارها من التعليلات والتقديرات البعيدة التي عقدت النحو وأعجزت دارسيه ويمكن أن تنطلق الدراسات والبحوث التي تعنى بتيسير النحو من هذا المجال الذي فتحه المخزومي بكتابه المذكور وقبله إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو)لكن تجربة المخزومي امتازت على سابقه بالنضج من جهة ثم بالتكامل من جهة أخرى إذ جعل دراسته بجزأين أولهما تنظير وإعادة نظر في القضايا والمسائل والأبواب وعودة الى الأصول الأولى التي اعتمدت الإستقراء ومشافهة الأعراب كما اعتمدت مصادر العربية الفصيحة ودرستها بمنهج لغوي لم تشبه ملامح الفلسفة والمنطق ولم يخض في آفاقها العقلية ثم حاول أن يغير من مختلف المناهج لهذا الدرس فأخذ من البصريين الأوائل خاصة ما رآه مناسباً صائباً ومن الكوفيين في دراساتهم القرآنية دراسة لغوية ثم ما أفاده من الدرس اللغوي الحديث، وبوعيه واجتهاده إستطاع أن يبلور منهجاً وصفياً يعد امتداداً ناضجا لمنهج الخليل والكسائي والفراء[٥٥].

خاتمة البحث

قواعد النحو ثمرة لجهود صادقة بذلها النحويون في سبيل استقراء كلام العرب، ومشافهة الفصحاء بهدف دراسة الجملة وتحليلها الى مكوناتها، هذا بالإضافة الى معرفة بنية الكلمات الداخلة في الجملة والعلاقات التركيبية، وقد وضع النحويون صناعة الكلام لحفظ كلام العرب من اللحن، وصيانته من التغيير، فبلغوا من ذلك الغاية التي قصدوها وانتهوا والى المطلوب الذي ابتغوا وقد قام لغويو العرب في عصر التدوين بجمع أشعار العرب قيلت في عصور الجاهلية وصدر الإسلام،

وكانت النصوص القرآنية قد جمعت ودونت واستقر أمرها بين أمصار الدولة الإسلامية ومن هنا اجتمعت المادة الخام التي تعين العلماء على إستقرائها ومعرفة ما بها، وقد حرص كل واحد منهم على أن يستدرك على سابقه،وما زال باب الاجتهاد مفتوحاً على مصراعيه، فمن هذا المنطلق إجتهد الدكتور مهدي المخزومي بقضية تيسير النحو العربي فجمع آراء النحويين الأوائل (الخليل والفراء وابن مضاء القرطبي) وأعاد ترتيب أوليات النحو العربي على وفق ما تقتضيه مواقع دلالتها وأغراضها من السياق وأهمية هذا السياق من تحديد وجهة الكلمة ودلالتها اللغوية، وكذلك أهمية السياق في تحديد طبيعة الجملة العربية وخصائصها الأسلوبية لقد جاهد الدكتور المخزومي لترسيخ ما بثه من آراء في الأذهان وإعتماده في التآليف النحوية ونرى أن دعوته لتيسير النحو العربي ينبغي أن تأخذ طريقها الى التطبيق في جامعاتنا وكثير من الجامعات العربية التي ما زالت أقسام اللغة العربية فيها تحشو أذهان الطلبة بالعوامل والعلل والتأويلات ولا بد من الأخذ بهذه الدعوة لتنقية الدرس النحوي من الشوائب التي علقت به وذلك بتأليف الكتب الجادة القادرة على إستيعاب القديم وفهم جوهره والإستفادة من معطيات الدرس اللغوي الحديث.

لقد كانت نظرية النحو العربي في ذهن المخزومي نظرية متكاملة،لم تكن مسائل وأفكاراً جزئية تعرض هنا وهناك....

هوامش البحث

١- الخاقاني، علي: شعراء الغري:٢٨٦/١٢.

٢- نفسه: ٢٨٦/١٢.

٣- نفسه: ٢٨٦/١٢.

٤- نفسه: ٢٨٧/١٢.

٥- نفسه: ٢٨٧/١٢.

٦- الرشودي، عبد الحميد: مهدي المخزومي وجهوده في الدراسات النحوية واللغوية،١٩٩٣، ص١٦.

٧- نفسه: ص١٦.

٨- السواد، رياض يونس: مهدي

المخزومي وجهوده النحوية، ص٢٢.

٩- نفسه: ص٢٢.

١٠- نفسه: ص٢٣.

١١- نفسه: ص٢٣.

١٢- نفسه: ص٢٣.

١٣- الطاهر، علي جواد: المخزومي في خطوط من تاريخ صداقة، كلمة في اربعينيته، ص٢.

١٤- الخاقاني: المرجع السابق، ٢٨٩/١٢.

١٥- الطاهر: المرجع السابق، ص٣.

١٦- زاهد، زهير غازي: المخزومي ونظرية النحو العربي، ص٥١.

١٧- نفسه: ص٢٦.

١٨- نفسه: ص٢٨.

١٩- نفسه: ص٢٩.

٢٠- نفسه: ص٣٠.

٢١- الجاحظ: البيان والتبيين، ٣٢١/١، إبن قتيبة: الشعر والشعراء، ١١/١.

٢٢- إبن جنّي: الخصائص، ٢٩٨/٣.

٢٣- المرزباني:الموشح، ص٣٨٤.

٢٤- إبن فارس: الصاحبي، ص٥٧.

٢٥- زاهد:زهير غازي: موضوعات في نظرية النحو العربي، ص١٧٨.

٢٦- نفسه: ص١٧٩.

٢٧- نفسه: ص١٧٩.

٢٨- حجازي، محمود: البحث اللغوي، ص٥٣-ص٥٤.

٢٩- خليل، حلمي: العربية وعلم اللغة البنيوي، ص٦٠.

٣٠- نفسه: ص٦١.

٣١- السيد،محمود احمد: تطوير مناهج تعليم القراءة النحوية، ص٧٢.

٣٢- زاهد، زهير غازي: قضية تيسير النحو، مجلة الذخائر، ص٤.

٣٣- نفسه: ص٥.

٣٤- نفسه، ص٥.

٣٥- نفسه: ص٦.

٣٦- عمايره: خليل احمد: العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه، ص٣٢.

٣٧- السواد، رياض يونس: مهدي المخزومي وجهوده النحوية، ص٤١.

٣٨- نفسه: ص٨٢.

٣٩- نفسه: ص٤١.

٤٠- نفسه: ص٨٢.

٤١- زاهد، زهير غازي: المخزومي ونظرية النحو العربي، ص٤٢.

٤٢- نفسه: ص٤٢

٤٣ - نفسه: ص١٩.

٤٤- نفسه: ص٤٣.

٤٥- نفسه: ص٤٤.

٤٦- المخزومي، مهدي: في النحو العربي – نقد وتوجيه،ص٣٤.

٤٧- نفسه: ص١٧.

٤٨- زاهد، زهير غازي: المرجع السابق، ص٤٣.

٤٩- نفسه: ص٤٤.

٥٠- نفسه: ص٤٤.

٥١- نفسه: ص٤٤.

٥٢- مقدمة مصطفى السقا لكتاب المخزومي (في النحو العربي قواعد وتطبيق) ص١١.

٥٣- نفسه: ص٧.

٥٤- المخزومي، مهدي: في النحو العربي – قواعد وتطبيق، ص٤٦.

٥٥- زاهد، زهير غازي: المرجع السابق، ص٥٠.

مصادر البحث ومراجعه

أولاً: الكتب:

١- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)
البيان والتبيين،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٦٠م، ج١.

٢- إبن جنّي، أبو الفتح عثمان، (ت ٣٩٢هـ):
الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢.

٣ –حجازي، محمود (الدكتور):
البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة ١٩٩٣م.

٤- الخاقاني، علي:
شعراء الغري أوالنجفيات، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦م، ج١٢.

٥ –خليل، حلمي (الدكتور):
العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.

٦- الرشودي، عبد الحميد:
مهدي المخزومي وجهوده في الدراسات

النحوية واللغوية،كراس مطبوع، ١٩٩٣.
٧- زاهد، زهير غازي (الدكتور):
- المخزومي ونظرية النحو العربي، دار الضياء للطباعة، النجف الاشرف، ط١، ٢٠٠٦.
- موضوعات في نظرية النحو العربي – دراسات موازنة بين القديم والحديث، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، ط١، ٢٠١٠ م.
٨- السواد، رياض يونس (الدكتور):
مهدي المخزومي وجهوده النحوية، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩.
٩- السيد، محمود أحمد (الدكتور):
تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية، تونس، ١٩٨٧م.
١٠ –الطاهر، علي جواد (الدكتور):
المخزومي في خطوط صداقة من التاريخ، كراس مطبوع، ١٩٩٣ م.
١١- عمايرة، خليل أحمد:
العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه، جامعة اليرموك، د.ت.
١٢- إبن فارس، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ):
الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية، تحقيق، مصطفى الشوجي، بيروت ن ١٩٦٣.
١٣- إبن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ):
الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤.
١٤- المخزومي، مهدي (الدكتور):
- في النحو العربي – نقد وتوجيه – دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٦٨.
- في النحو العربي – قواعد وتطبيق – دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦.
١٥- المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران (٣٨٤هـ):
الموشح، تحقيق: محمد علي البجاوي، نشر دار النهضة بمصر، ١٩٦٥م.

ثانياً: المجلات والدوريات:

- مجلة الذخائر: العددان ١٧،١٨، السنة الخامسة، ٢٠٠٤ (قضية تيسير النحو) بحث للأستاذ الدكتور زهير غازي زاهد.

مهدي المخزومي
تجديد أم صيحة في واد؟

أ.د.وليد السراقبي جامعة حماة -قسم اللغة العربية-كلية الآداب-سورية

لم تنقطع سلسلة التجديد النحوي أو الإصلاح النحوي منذ وضع سيبويه كتابه الذي كان بحراً لا يستطيع المتعلِّمون الاقتراب من شواطئه بَلْه الغوص في لُجَجه، فكان أنْ قُيِّض له من يسعى إلى تذليله للدارسين لا لشداة العلم، فكانت شروح الكتاب، وشرح السيرافي ذروة سنامها.

ولمَّا زادت حاجة الناس إلى تعلُّم النحو أخذ العلماء بوضع الكتب المختصرة في ذلك العلم، من أمثال كتاب (الجمل) لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ)، والإيضاح لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، وغيرهما.

وعرف القرن السادس الهجري صيحة ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) التي دوت في أودية الدرس النحوي وشعابه، ولكنها كانت صرخة في واد فلم يتلقّها أحد بالقبول، فذهبت أدراج الرياح.

ولمّا أنْ ألقى القرن العشرون بجرانه، وناء بكلكله، نشطت حركة الابتعاث إلى الغرب للدراسة فيه، والاطلاع على مناهجه في الدرس اللغوي، فكان (إبراهيم مصطفى) أول من أطلق صيحة الإصلاح والتجديد في الدرس النحوي، وتمثل ذلك في كتابه، (إحياء النحو) الصادر سنة ١٩٣٧ هـ، وفرش فيه صاحبه مآخذه على الدرس النحوي العربي، ورنت عيناه إلى أفق تجديدي يليق به، وعلى يديه تلمذ غير واحد من الدارسين الذين يمّموا أرض الكنانة للتزوّد بما جدَّ فيها من علوم، وكان مهدي المخزومي أحد الذين شملتهم رعاية صاحب " إحياء النحو "، فترك فيه آثاراً كثيرة جعلت منه امتداد مدرسته، وأكثر التلاميذ إخلاصاً وتمثلاً وتشبعاً بآرائه، فمن هو؟

إنَّه مهدي بن الشيخ محمد بن صالح بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد صالح، آل زاير، المشتَهَر بـــ(المخزومي). وكانت ولادته في النجف الأشرف سنة ١٩١٠ وقيل ١٩١٧، وقيل غير ذلك[١].

وشدا كغيره مبادئ القراءة والكتابة، وختم القرآن الكريم،ثمَّ أُدخل المدرسة، وتدرَّج في المراحل التعليمية الأولية حتى أنهى المرحلة الثانوية وأوفد

بعدها إلى مصر، وهناك حصل على درجة الإجازة،ثم الماجستير والدكتوراه من جامعة فؤاد الأول في المدة بين (١٩٤٧ – ١٩٥٣) م. تلقى العلم على يد عمالقة الفكر والأدب وحاملي لواء النهضة العلمية،وكان منهم[٢]: أحمد أمين (ت١٩٥٤م)، وأمين الخولي (ت١٩٦٦م)، وإبراهيم مصطفى(١٩٦٢)، ومصطفى السقا(ت١٩٦٩م)، وطه حسين (ت١٩٧٣م)، فكان لهؤلاء الأعلام بلا أدنى شك واسع الأثر –إلى جانب ذهنيته المتطلعة والمتفتحة، وذكائه الفطري- في بنائه الفكري وعدم تسليمه بالقديم لقدمه.وحين عاد إلى وطنه، عيِّن مدرساً في كلية الآداب في بغداد، وغدا واحداً ممن يلقون المحاضرات في النحو العربي. توفي رحمه الله في ١٢ رمضان ١٤١٤ هـ / ١٥ آذار ١٩٩٣، وكان يلقي درساً في حلقة من حلقات العلم[٣].

إنَّ أربعة وثمانين عاماً عاشها مهدي المخزومي لم تفتر له همّة، ولم تلن له قناة، قضاها في محاريب العلم وأروقة الجامعات بين وطنه (العراق) وغربته في المملكة العربية السعودية معاراً إلى جامعة الملك سعود.

غادر المخزومي، رحمه الله، هذه الدنيا جسداً، ولكن آثاره العلمية التي تدلّ عليه لم تبخلْ عليه بالبقاء حيَّاً في أنفس تلاميذه وغيرهم من دارسي النحو العربيّ. وهذه الآثار موزعة بين التأليف،والتحقيق،والترجمة،والتأليف المدرسي.

فإذا تركنا رسالتيه للماجستير[٤] والدكتوراه[٥] وما بثَّ فيهما من آراء = وقفنا على كتابيه المهمَّيْن اللذَيْن يحملان عصارة فكره النحوي، وارتياده آفاق التجديد أو التطلّع إليه على أقلِّ تقدير، وهما - إلى جانب ذلك – مرآتا تنظيره النحوي وتطبيقه.

أمَّا أولهما فهو كتابه (في النحو العربي: نقد وتوجيه)[٦]، وأمَّا كتابه الآخر فهو: (في النحو العربي: قواعد وتطبيق)[٧].

إلى جانب كتب أخرى ومقالات كثيرة متنوعة المضامين تشير بوضوح إلى موسوعية الرجل، ولا أرى من حاجة إلى إعادة تسويد صفحات بذكرها[٨].

قسم المخزومي كتابه الأول إلى الأقسام

الآتية:

١- الجملة.

٢- الإعراب وعلاماته.

٣- الأفعال.

٤- الأساليب.

لقد فرش المخزومي في كتابه (في النحو العربي: نقد وتوجيه) الأصول النظرية للنحو الذي يؤمن به ويرتضيه، وعَرَض المثالب التي مُني بها النحو العربي بعد الخليل على يد سيبويه والخالفين، إذ ترخَّص هؤلاء " في استخدام مصطلحات ليست من اللغة في شيء، كالعامل والمعمول،... ممَّا مهَّد السبيل للفلسفة الكلامية ولمنطق اليونان، بما لهما من قياسات ومصطلحات وتوجيهات، أن ينفذا إلى هذا الدرس اللغوي، وتتم لهما السيطرة"، فأخذ النحو من جراء ذلك " ينحرف عن طريقه، وبدأ يتحول شيئاً فشيئاً إلى درس ملفَّق غريب، ليس فيه من سمات الدرس اللغوي إلا مظهره وشكله"[٩].

وفي هذا الكتاب بسط المخزومي أصول النحو الميسَّر الذي يسعى إلى إشاعته في الساحة اللغوية، وكان له من تجربة أستاذه إبراهيم حافزاً إلى ذلك، إذ إن التيسير ليس اختصاراً، ولا حذفاً للشروح والتعليقات، ولكنه عرض جديد لموضوعات النحو ييسره للناشئين أخذها واستيعابها"[١٠]، وهذا يقوم على دعامتين[١١]:

أولاهما: تهذيب الدرس النحوي وتخليصه من العوالق التي علقت به بتأثير الفلسفة والمنطق.

وآخرهما: تحديد الموضوع الذي يدرس وتعيين نقطة البدء به.

لقد أقام كتابه - كما هو واضح من عنوانه - على نقد النحاة وأحكامهم التي انطلقوا في تأسيسها من فكرة (العامل)، فحاول المخزومي في فصول كتابه هذا سلب العامل النحوي قدرته على العمل، وبإبطال هذه الفكرة تهوي كل ما بُني عليها من تقدير متعسَّف[١٢].

ولا يقوم الدرس النحوي الحق إلاَّ على ركيزتين هما:

١- الجملة تأليفاً ونظاماً وطبيعة وحركية في عناصرها.

٢- المقاصد المتغيَّاة منها بتأثير استعمال أدوات تعبيرية معينة، من توكيد واستفهام، فليس الدرس النحوي قائماً على فرض قواعد على الناس، أو تخطئة أسلوب يستعملونه، ولكنه الدراسة الوصفية التطبيقية"[١٣] فحسب، وبهذا ربما يكون المخزومي أوَّل مستعمل مصطلح (الوصفية) في درسنا اللغوي العربي، فيكون هو - بحق - أول اللسانيين الوصفيين فوظيفة" النحوي أن يسجِّل لنا ملاحظاته، ونتائج اختباراته... وأن يصف لنا ما يطرأ على الكلمة أوضاعها المختلفة"[١٤].

وخطوات الدرس النحوي الحقيقي تبدأ من السِّنْخ الأول المكون للفظ، وأعني به الصَّوْت، فعن طريق هذه الدراسة نقف على ما لحق بالكلمة - اللبنة الأولى في الجملة - من تغيرات صوتية، ثم تكون الخطوة الثانية هي الدراسة الصرفية للمفردة تجرُّداً وزيادة وبنية، لأنها ستدخل في البنية الأكبر - الجملة - وهي موضوع الدرس النحوي تقديماً وتأخيراً، حذفاً وذكراً، ثم دلالة في آخر المطاف.

أمَّا كتابه الثاني: (في النحو العربي: قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) فقد كان ميداناً تطبيقياً للآراء التنظيرية لنحوه الجديد، فهو كتاب - على ما يذهب إليه المخزومي - " مبرَّأ مما علق بالنحو طوال عشرة قرون من شوائب ليست من طبيعته، ولا من منهجه "[١٥]. ومما يُرى منها:

١- فكرة العامل، فقد ألغاها المخزومي إلغاءً تامًا.

٢- الاعتبارات العقلية ذات الصلة بفكرة العامل.

٣- التعليلات العقلية التي لا رصيد لها في الكلام المُنجز.

٤- فصول هي ثمرة الجدل العقلي عند النحاة، مثل باب التنازع، والاشتغال.

٥- تفريق مسائل كان النحاة يجمعونها في قرْن واحد.

٦- جمع ما تفرّق لاتفاقه في الوظيفة، نحو الفاعل ونائب الفاعل، فهما من باب واحد، هوما سماه (الفاعل اللغوي).

٧- إزالة الفرقة بين اسم الفاعل والفعل

فهما من وادٍ واحد أيضاً.

٨- الالتفات إلى المقاصد في مقابل اهتمام النحاة بفكرة العامل وتفسيرهم الظواهر النحوية كلها في إطارها.

فالمنهج المبرَّأ المعافى من فكرة العامل وما يتبعها من جمع أبواب حقُّها التفرُّق، وتفرق أبواب حقُّها الاجتماع في صعيد هو المنهج الذي ارتضاه المخزوميّ وعدَّه الأقرب إلى طبيعة الدرس النحوي. وهو في ذلك كله يجعل من " آراء الدارسين الأولين أساساً لدراسة النحو من أول، ومن قبل أن يتخذ منه النحاة المناطقة أداة جدلٍ، ويمهِّدوا للمنطق والفلسفة الكلامية أن يتدخَّلا فيه تدخُّلاً حالَ به إلى درسٍ غريب، لا هو بالدرس النحوي، ولا هو بالدرس المنطقي أو الفلسفي، وإلى نتاجٍ هجين فقد أصالته وحيويته، وضاع في متاهات الجدل، وكاد يفقد فيها صلته بواديه"[١٦].

إنّها محاولة يضعها بين أيدي الدارسين، فلم يقفل باب الاجتهاد، ولم ينظر إلى محاولته أنَّها الحق الذي لا يأتيه الباطل. إنها محاولة لها ما لها وعليها ما عليها، سعى فيها لتكون " منطلقاً إلى محاولات أوسع تحقيقاً، وأعمق إحاطةً واستقصاء"[١٧] بشرط أن يقوم بها الأذكياء من دارسي اللغة من النحاة لا الدارسين الذين نهجوا نهج " النحاة الدراويش "الذين انساقوا وراء التعليلات والتقديرات التي لا تمتُّ للدرس النحوي بصلة، وهم نحاة اجتهدوا فخانهم الصواب... لأنهم درسوا النحو كما يدرس الدرويش غيبيَّاته".

إن النظرة الفاحصة في كتبه كلها، لا سيَّما في هذين الكتابين تقف بالدارس على صفات مهمة اتسمت بها ذهنيته، ومن أبرز هذه السِّمات:

الشمولية: إذ لم يكن المخزوميُّ ينظر إلى الدرس النحوي على أنَّه أشلاء ممزَّقة. فقد أخذ في كتابه التطبيقي بالدراسة التصاعدية وبدأ بالصوت، وهو المكوِّن الأساسيِّ، ثم الكلمة، فالجملة، وهي التركيب الأخير الذي يحمل مقاصد المتكلم.

وقد أطلقت الباحثة سناء البياتي تلميذة المخزومي على درسه

الشمولي مصطلح (النحو العمومي)[١٨] universal gramar، وهو مصطلح لا نصيب له من التوفيق، وإنما هو مصطلح (النحو الكلي)، إذاً.

كل اللغات فيها مكوِّنات قواعدها التي تبدأ من الصوت[١٩] فالكلمة، فالجملة، وأخيراً ما يتوخاه المتكلم من الجملة من مقاصد.

وإذا يمَّمنا وجهنا شطر مصادره التي وردها في ابتناء فكره النحوي، وعليها بنى آفاقه النحوية وتطلعاته إلى التجديد = نجد أنَّه استنار بمشكاتين هما:

١- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)، وهو رائد الدراسات النحوية واللغوية، وأستاذه سيبويه، وهورأس المدرسة البصرية.

٢- أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، وهو رأس المدرسة الكوفية غير منازع، وليس يعترف المخزومي نفسه بغير هاتين المدرستين[٢٠].

ولعلَّ الظن يذهب بالمرء إلى التعجب من هذا الجمع بين رأسي مدرستين نحويتين على طرفي نقيض من جهة الظاهر = لكن المخزومي – وهو الذي درس كلاً من هذين العلمين – جعلهما – لما بينهما من آفاق التشابه في قَرَن واحد؛ إذ كان يرى في الفراء أكثر النحاة شبهاً بالخليل بن أحمد، وهما يلتقيان في[٢١]:

أ- الأفق المعرفي الشامل.

ب- الاعتماد على الدرس الوصفي.

ج- البنية المعرفية ؛ فكل منهما يذهب إلى وجوب الانطلاق في الدرس اللغوي من أصغر وحدة، وهي الصوت، ثم الصرف، فالجملة.

د- التأسيس المعرفي، فالخليل واضع علم لم يسبقه إليه أحد، وهو علم العروض، وللفراء جهود رائدة في البعدين اللغوي والشرعي.

هـ- جدَّة الطرح لدى كل منهما، فكلاهما ينطلق من الدرس الوصفي الذي عرضنا له، وينأى بالدرس اللغوي عن المماحكات الكلامية. فمن ذلك أن القياس عندهما إنما هو قياس المشابهة والبناء على ما هو مسموع عن العرب[٢٢].

ويضاف إلى هذين المصدرين

اللذين تأثر بهما المخزومي ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) فقد نادى به تنظيراً وتطبيقاً؛ ومما اقتفى فيه آثار فكره إنكاره مقولة العامل اللفظي والتعويل على العوامل المعنوية، من إسناد، وإضافة وخلاف. تروي تلميذته الدكتورة (سناء البياتي) أنَّها سألته عن جملة (ظننت محمدًا صادقًا وأن أصلها ليس جملة (محمد صادق)، وأنَّ الجملة الثانية ليست أصلاً للأولى: " ولاحظت عندما كنت أحدثه عن عدم قناعتي بقول النحاة عن أصل الجملة أنه كان ينظر إليَّ بتركيز شديد وكله أذن مصغية لما أقول، واتسعت فتحتا عينيه بطريقة فهمت منها أنه تفاجأ بقولي وأعجب به، وقال بصوت خافت: " كل منا يُمسك مِعْولاً ليهدم ركناً من أركان نظرية العامل حتى يستقيم النحو"[٢٣].

ومن ذلك أيضاً قوله بتقدّم الفاعل على الفعل، وجواز تعدِّي الفعل إلى اسمٍ ظاهر متقدِّم عليه وإلى ضميره المتّصل به، ورفض التقدير والتأويل[٢٤].

وكان له اقتباسات واضحة من نحو الكوفيين، وهو الذي درس منهجهم في رسالته للدكتوراه، وطبقها تطبيقًاً عملياً في كتابه الثاني الذي أشرنا إليه من قبل.

فمن ذلك ما هو من قبيل التوجيه النحوي، ومنه ما هو من قبيل الاستعمال المصطلحي، ومنه ما هو داخل في التطبيق الإعرابي[٢٥]. فمن الأول أن أسماء الأفعال هي أبنية فعلية تنحط درجة عن الأفعال فكانت لها بنيتها الخاصة، وأن لام الابتداء هي نوع من لام القسم. ومن الثاني أن ما يسميه البصريون اسم فاعل يسميه هو كالكوفيين: الفعل الدائم، وأنه يستعمل مصطلح (الأداة) بدلاً من الحرف، ومصطلح (الخفض بدلاً من مصطلح (الجر).

واما النوع الثالث فجعله خبراً لمبتدأ الذي خالف المبتدأ معنى منصوباً على الخلاف، وكذلك ما ينصب على المفعول معه هو منصوب على الخلاف، والاسم المنصوب بعد أفعال الكينونة يعرب حالاً.

وحذا حذو أستاذه المرحوم الدكتور إبراهيم مصطفى في كتابه

(إحياء النحو)، ومن مظاهر هذا الاقتداء رفضه أن يسلك العطف والتوكيد في باب التوابع، فليس من التوابع إلا النعت والبيان، وخبر المبتدأ. ومنه أيضاً أنَّ النصب ليس ناجمًاً عن عامل، وإنَّما هي أثر من آثار حب العربية لها لخفتها، فكل ما ليس داخلاً في الإسناد والإضافة هو مفتوح.

ولكن المخزومي - على أنَّه نهل من معين الخليل والفرّاء وابن مضاء من القدماء وإبراهيم مصطفى من المحدثين - كان له اجتهاداته التي تشهد بعلوِّ كعبه، وذهنيته المتفتحة الوثّابة، التي لا تسلم قيادها لكل ما يمرّ تحت بصرها، ومنهجيَّة مستقلة في أغلب أحايينها.

ولعلَّ أهم ما يشهد لذلك الاعتناء بنحو المقاصد لا نحو الإعراب، فقد جمع مثلاً أدوات النفي، وهو معنى عام، في صعيد واحد بعد أن كانت مفرَّقة بين الفعلية والاسمية والحرفية، وبين العاملة والمهملة، وبين الأحادية البناء أو ثنائيته...، وقلْ مثل ذلك في جمعه الأدوات المصدرية في باب واحد سمَّاها أدوات الوصل[٢٦].

وجعل التشابه في الدلالة هو السقفَ الذي تجمع تحته أبواب النحو لا القرينة الإعرابية، فالبدلُ - عدا البدل المطابق - ليس من التوابع، والاستثناء المفرَّغ ليس داخلاً في الاستثناء، وإنما هو في باب التوكيد[٢٧].

والأفعال عنده أربعة أنواع لا ثلاثة، فهي عنده: ماضٍ، ومضارع، وأمر، ودائم. ومنها ما هو شاذ، نحو (عسى) و (نعم)، و (بئس)[٢٨].

أما الكلم فقد كان يقول بالقسمة الرباعية لها، فهي: الاسم، والفعل، والأداة، والكناية[٢٩]. واعتاض المخزومي بالالتفات إلى الأساليب عن القول بالعامل وحركات الإعراب[٣٠].

وإذا انتقلنا إلى الإعراب الإجرائي وجدناه إعراباً متخففاً من كثير مما درج عليه المعربون. ففي جملة مثل: اقتسم أبناءُ يوسفَ نثرَ الكلامِ ونظمَهُ، يكون الإعراب على النحو الآتي:

اقتسم: فعل ماض. أبناءُ: مسند إليه (فاعل)، مرفوع. يوسفَ: مضاف إليه، مخفوض، وقد حرِّك آخره

بالفتحة؛ لأنه اسم غير منوَّن. نثرَ: مفعول، منصوب، الكلام: مضاف إليه مخفوض. ونظمَه: الواو: أداة التشريك. نظمَ: مفعول بدلالة الواو. الهاء: ضمير المضاف إليه[٣١].

وإذا كنا لا ننكر على الرجل حقَّه في الاجتهاد والمخالفة فيما استقرَّ عليه النحو خلال قرون متطاولة فلا يعني هذا أننا نقرُّه على ما قال، ونسلم له القياد عن يدٍ، فمثل هذه الصفحات القليلات لا تفي بكل ما يراد قوله. وحسبنا أن نقول له ولأستاذه إبراهيم مصطفى: إذا كانت الضمة علم الإسناد، فما قولكما فيما ورد من المسند مجروراً؟ ومن ذلك قوله تعالى: (ما اتخذ اللهُ من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ) [المؤمنون: ٩١]، وقوله تعالى: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيِّن لكم على فترةٍ من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ) [المائدة: ١٩].

وهذا يحفزنا على الاعتقاد أنَّه " لم يقدِّم في بحث الإعراب آراء مقنعة، ولم يستطع كإبراهيم مصطفى أن يجعل قواعده مطَّردة"[٣٢].

وقد وقف بعض الدارسين قبلنا موقفاً ناقدًاً لكثير مما لهج به المخزومي في المنهج وغيره، ومنهم: الدكتور إبراهيم السامرائي[٣٣]، وعبده الراجحي[٣٤]، وحلمي خليل[٣٥].

لقد أخذ عليه الدكتور إبراهيم السامرائي أنه ذيل كتابه الثاني بعبارة(... على المنهج الحديث)، فرأى السامرائي أنه لدى "قراءتنا لهذه المادة التي عرضها الأستاذ المخزومي نجد أنفسنا إزاء كلام لنحوي في هذا العصر يأخذ نفسه بالمنهج القديم من حيث المسائل الجوهرية، وكأنَّه ليس في هذا العصر، وكأنَّه أيضاً انساق في هذا العلم لنحوي قديم أو أنَّه أحبَّ هذا المنهج الكوفي ممثلاً في الفراء فنسي ما كرره غير مرة من أنْ مهمة النحوي الوصف ليس غير، إذ ليس من مهمة النحوي التعليل... ويخيل إلي أنَّك حين تقرأ هذا العرض لا بد أنَّك ذاكر أسلوب التدليل والعرض والاحتجاج في كتاب (الإنصاف)...وفي هذا تنكر للمنهج الوصفي الذي قال به الدكتور المخزومي في فاتحة كتابه، وأخذ بالمنهج القديم الذي لا يكتفي

باللفظ فيلجأ إلى التقدير"[٣٦]

وأكد الدكتور حلمي خليل ما ذهب إليه السامرائي، ورأى في منهج المخزومي تناقضًا،وأنكر عليه التجديد في تيسير النحو،وقال:"إنَّ المنهج العلمي الحديث في دراسة اللغة عند الدكتور المخزومي لا يكاد يبتعد عما قاله القدماء قيد أنملة"[٣٧] و"كلُّ ما أضافه من عنده يتصل بالتقديم والتبويب لا غير..."[٣٨].

ومما لا شك فيه أنَّ نحويًا بقامة المرحوم المخزومي لا بُدَّ أنْ يترك بصمات علميّة تجديدية سواء على مستوى التأليف المنهجي أو على مستوى التلاميذ الذين نهلوا من علمه وحذوا حذوه بنظراتهم التي حملت سمات واضحة من التفكير المنفتح والتجديد.

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنَّ ثلاثة من تلاميذه، وهم كثر، تمثلوا نهجه واقتفوا آثاره،وهم: الدكتور محمد الحلواني(ت١٩٨٦م)، والدكتور مصطفى جمال الدين(ت١٩٩٣م)، والدكتور فاضل السامرائي، ولا سيّما في كتابه الموسوعي (معاني النحو) الذي صرف فيه همه إلى بؤرة الدرس النحوي،وأعني بها المقاصد لا الاكتفاء بالظواهر الإعرابية الشكلية

وليس من وكدنا في هذه الصفحات القليلة الإحاطة بجهوده كلها،فقد كفانا مؤونة التوسع في ذلك غير ما واحد أعدوا فيه وفي آرائه في الدرس النحوي وتجديده[٣٩]، ولكن حسبنا أنَّنا أضأنا بعض مقولاته واجتهاداته، فالمجتهد إذا أصاب فله أجر، وإذا أخطأ فحسبه أجر الاجتهاد.

الهوامش:

١- ينظر: السواد، رياض: مهدي المخزومي زجهده النحوية، دار الراية،: عمان، ط ١، ٢٠٠٩ م، ص: ٢١.

٢- الدرس النحوي عند مهدي المخزومي بين التقليد والتجديد،ص:١٠.

٣- المرجع السابق نفسه، ص: ٢٥.

٤- كانت رسالته للماجستير بعنوان: (مذهب الخليل النحوي)، ثم نشرها في كتاب يحمل عنوان (الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه، وطبع أول مرة في مطبعة الزهراء سنة ١٩٦٠، ثم

طبع سنة ١٩٨٦ م، في دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.

٥- العنوان الأصلي لها: (مدرسة الكوفة النحوية ومنهجها في البحث)، ثم نشرت في كتاب بعنوان: (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، وصدرت في عدة طبعات، أولها في دار المعرفة في بغداد سنة ١٩٥٥، وآخرها في دار الرائد العربية، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٦ م.

٦- طبع الكتاب أول مرة في المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ١٩٦٤، وطبع في المرة الثانية سنة ١٩٦٨ في دار الرائد العربي، بيروت.

٧- صدر أول مرة عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٦٦، ثم صدر في دار الرائد العربي، بيروت، سنة ١٩٨٦م.

٨- في النحو العربي: نقد وتوجيه، ص: ١٤.

٩- نفسه، ص: ١٤.

١٠- في النحو العربي: نقد وتوجيه، ص: ١٤.

١١- نفسه، ص: ١٤ و ١٥.

١٢- نفسه، ص: ١٦.

١٣- النحو العربي: نقد وتوجيه، ص: ١٩.

١٤- نفسه، ص: ١٩.

١٥- في النحو العربي: قواعد وتطبيق، ص: ١٥.

١٦- في النحو العربي: قواعد وتطبيق، ص: ١٦.

١٧- نفسه، ص: ١٦.

١٨- البياتي، سناء: مجلة الأديب، ع ٩٤، السنة الثانية، ٢٠٠٢ م، ص: ١١.

١٩- مدرسة الكوفة، ص: ١٦٤.

٢٠- كان المخزومي يعتقد بوجود مدرسة ثالثة هي المدرسة البغدادية،ثم تراجع عن ذلك.

٢١- معن، مشتاق عباس: العودة إلى الأصول، مجلة الأديب ،ص:٢٢.

٢٢- نفسه، ص: ٢٣.

٢٣- البياتي، سناء: لولا الدكتور مهدي المخزومي لما حققت اكتشافي، مجلة الأديب، ع ٩٤، ٢٠٠٢، ص: ١٠.

٢٤- في النحو العربي: قواعد وتطبيق، ص: ٥.

٢٥- ينظر: السقا، مصطفى: مقدمة كتاب (في النحو العربي: قواعد وتطبيق

على المنهج العلمي الحديث، ص ٤ و٥.

٢٦- ينظر: في النحو العربي، قواعد وتطبيق، ص: ٣٧ وما بعدها.

٢٧- نفسه، ص: ٢١٠ – ٢١٤، و ١٩٤ – ١٩٥.

٢٨- وضع المخزومي قسماً قائماً برأسه سماه (الأفعال الشاذة)و لعله بذلك متأثر باللغة الإنكليزية.

٢٩- للتوسع في ذلك ينظر: المرجع نفسه، ص: ١٩ – ٦٥. والكنايات عنده هي: الضمائر، الإشارة، والموصول بجملة، والكنايات المستفهم بها، والكنايات المشروط بها.

٣٠- في النحو العربي،قواعد وتطبيق،ص:١٣٤.

٣١- ينظر هذا النموذج في: النحو العربي: قواعد وتطبيق، ص: ٢٢٨. وينظر: ص: ٢٢٦ – ٢٢٨.

٣٢- لحرش، عمر: الدرس النحوي عند مهدي المخزومي بين التقليد والتجديد، ص: ٨٣.

٣٣- السامرائي، إبراهيم: الفعل: زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٣، ص: ٤٠ و ٤١.

٣٤- الراجحي، عبده: النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة، بيروت،..... ١٩٨٦، ص: ٧٢.

٣٥- خليل، حلمي: العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨ م، ص: ٣٩.

٣٦- الفعل:زمانه وأبنيته، ص:٤٠-٤٣.

٣٧- العربية وعلم اللغة البنيوي،ص:٣٩.

٣٨- نفسه،ص:٣٩

٣٩- نذكر من ذلك:لحرش،عمر في رسالته: الدرس النحوي عند مهدي المخزومي بين التقليد والتجديد،جامعة قاصدي مرباح، الجزائر،والسواد،رياض يونس في رسالته:مهدي المخزومي وجهوده النحوية،دار الراية، عمان،٢٠٠٩،وشحود،عامر: التفكير النحوي عند مهدي المخزومي دراسة وصفية تحليلية،وهي رسالة ماجستير بإشرافي،نوقشت على مدرج كلية الآداب، جامعة حماة،٢٠٢١٢م.وخصصت مجلة الأديب العدد (٩٤) لجهوده في الدرس النحوي واجتهاداته.

المصادر والمراجع:

أ- الكتب

١- البياتي، سناء: لولا المخزومي لما حققت اكتشافي،مجلة الأديب، ع ٩٤، السنة الثانية، ٢٠٠٢ م

٢- الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان،١٩٨٦م.

٣- خليل، حلمي: العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨.

٤- الراجحي، عبده: النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة، بيروت،..... ١٩٨٦.

٥- السامرائي، إبراهيم: الفعل: زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٣.

السواد، رياض: مهدي المخزومي وجهوده النحوية، دار الراية،: عمان، ط ١، ٢٠٠٩ م

٦- لحرش، عمر: الدرس النحوي عند مهدي المخزومي بين التقليد والتجديد،جامعة قاصدي مرباح، الجزائر،٢٠١٣م.

المخزومي،مهدي:

٧- في النحو العربي:نقد وتوجيه،دار الرائد العربي،ط٢، ١٩٨٦م،بيروت.

٨- في النحو العربي:قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث،ط١، ١٩٦٦م،شركةمكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، قدم له مصطفى السقا.

٩- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو دار الرائد العربية، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٦ م.

١٠- معن، مشتاق عباس: العودة إلى الأصول، مجلة الأديب،ع٩٤،السنة الثانية،١٩٩٤م.

ب-المجلات:

الأديب، السنة الثانية، العدد(٩٤)، ٢٠٠٥م

علم الدكتور المخزومي عطاء لا ينضب

أ.د. وَلاء صَادق مُحسِن / جامعة بغداد - كلية التربية للبنات

من فكر الدكتور مهدي المخزومي

حاز الأستاذ الدكتور المخزومي على مكانة علمية مرموقة في العراق و الوطن العربي قاطبة. ذلك لما قدمه من دراسات وبحوث علمية رصينة أفاد منها العلماء والباحثون. وقبل الشروع بما قدمه الدكتور المخزومي علينا أنْ نقف على القامة العلميّة. هو الأستاذ الدكتور مهدي محمد صالح حسن المخزومي، ولد عام ١٩١٩ وتوفي عام ١٩٩٣ م. لغويّ و أستاذ جامعيّ وكاتب وشاعر.

ولد في النجف الأشرف وتعلّم فيها علومه الأولى، وحاز على شهادته الإبتدائية من مدرسة الغري الأهلية وتابع تعليمه على طريقة القدماء إذ دخل الجامع الهندي وأخذ علوم الأدب والدين، وعيّن بعدها وكيل معلم في سوق الشيوخ. بعدها رحل إلى القاهرة ليدرس في جامعتها وبعد إنهاء دراسته الجامعية الأولية عاد إلى العراق وعمل مدرساً في دار المعلمين في الرستمية، وبعد مضي أربع سنوات سافر إلى القاهرة لإتمام دراسته العليا فحاز على شهادة الماجستير وبعدها الدكتوراه بعدها عاد إلى بغداد وعُيّن استاذاً جامعياً في كليّة الآداب. كان عضواً في اتحاد الكتاب العراقيين وله شعر.

- من أهم مؤلفاته:

١. الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه.
٢. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو.
٣. في النحو العربي نقد وتوجيه.
٤. في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث.
٥. الفراهيدي عبقريّ من البصرة.
٦. الدرس النحوي في بغداد.
٧. أعلام في النحو العربيّ
٨. وله كتاب مخطوط (قضايا في النحو وتاريخه)

- ومن بحوثه

١. بَيْنَ ابن خالويه والمتنبي مجلة الثقافة (١٢) ديسمبر ١٩٦٥
٢. ملاحظات على كتاب (أبو زكريا الفرّاء للدكتور أحمد مكي الأنصاري

المجمع العلميّ العربيّ (٤) ١٩٧٢

٣. آراء مطروحة للمناقشة.

٤. العربيّة النموذجية قديماً وحديثاً البيان الكويتية.

٥. رأي في موضوع علم النحو.

٦.رأي في إسناد الفعل.

٧.دعوة جادة في إصلاح العربيّة.

٨.مقترحات حول الحفاظ على سلامة اللغة العربيّة

-التحقيق

١. كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائيّ.

٢. ديوان الجواهري -جمع وتحقيق واشراف الدكتور مهدي المخزومي شاركه د. إبراهيم السامرائي ود.علي جواد الطاهر ورشيد بكتاش.

- الترجمة:

ترجمة كتاب المدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن لموسكاتي وآخرين. شاركه الدكتور عبد الجبار المطلبي.

تميز الدكتور المخزومي بعقل نيّر وفكر ثاقب، فميّز علماء العربية القدامى وأظهر نتاجهم على الملأ و الباحثين والدارسين والمهتمين بتراث لغتنا ولعل في مقدمة هؤلاء - عبقري زمانه الخليل بن أحمد الفراهيديّ ذلك الرجل الذي لن يتكرر أبداً.

أظهر الدكتور المخزومي ما أجاد به الخليل وما توصل إليه من علم ثاقب وعقل نير بدءاً من وضعه لعلامات الإعراب وعلامات أخرى. نحو همزة الوصل والشدة وغيرها على النحو الآتي: (ـِ، ـُ، ـَ، ـْ، ء، ~، ّ)

وقد بلغ عددها ثماني علامات.

وضع الخليل هذه العلامات ومنها حركات الإعراب القصيرة انطلاقاً من رأيه المصيب (فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو)[١]، ويعنى بذلك الصوائت الطويلة ومنها اشتق رسم الحركات القصيرة وكان قد بين القيم الصوتية للواو والياء ذكرها الأزهري عن الخليل (والياء والواو إذا جاءتا بعد فتحة قويتا، وكذا إذا تحركتا

كانتا أقوى)[٢].

وتجلّى علم الخليل في ذكر تلميذه سيبويه لآرائه في الكتاب في قوله وقال لي، وسألته، وسألت الخليل مثبتا أن ما دونه يعود الفضل فيه إلى أستاذه الخليل.

وكان للخليل الأثر البيِّن والجَهْد الكبير في تقسيم الأصوات على مخارجها وبيان صفاتها منطلقاً فى معرفته بأعضاء النطق ناسباً كل صوت إلى مخرجه[٣]

وقد ذكرها سيبويه في الكتاب في الجزء الثاني باب الإدغام أنَّ جهد الخليل في الأصوات لم يقتصر على ذلك، إنَّما نجده في كتاب العين وعمله الكبير في ترتيب المعجم على الأصوات مبتدئاً بأنصع الأصوات (العين) وبه سمي المعجم، مستعملا فيه نظام التقليبات الذي بانت أهميته في الكشف عن المستعمل و المهمل في اللغة العربية وبيان العربي من الدخيل. مستخلصاً أنَّ للأصوات المذلقة قيمة كبيرة واستعمالاً واسعاً، إذ لا تخلو منها مفردة مؤلفة من أربعة أحرف أو مازاد على ذلك.

وللخليل آراء أخرى في مجال الأصوات منها رأيه في أنَّ الألفاظ تتناسق إذا ما كانت قريبة الصفات بعيدة المخارج، فضلاً عن وقفته مع المماثلة والمخالفة أيْ القوانين الصوتية للغة، هذا الجهد الكبير لعلم الأصوات (الصوت المفرد والتشكيلي) توصل إليه الخليل بعد معرفته بمخارج الأصوات تلك التي توصل إليها بمرآة كان يستعمل إيَّاها واضعاً يده على مخرج الصوت ليستدل عليه ويتذوقه ومن ثمّ يسجل ملاحظه.[٤]

يعود الفضل في معرفة البحور الشعريّة إلى الخليل، فهو من اكتشف علم العروض بعلله وزحافاته وبحوره وكأنَّه عالم في علم الرياضيات في تقطيعه وحساباته. كان الخليل سبّاقاً في جمع اللغة من موطنها الأصلي وذلك بالذهاب إلى البادية وجمع الألفاظ من ناطقيها الأقحاح.

هذا ما أظهره استاذنا الدكتور المخزومي معرِّفاً بجهد الخليل بن أحمد مبيناً أعماله في كتبه الثلاثة (الخليل بن

أحمد، أعماله ومنهجه) والفراهيدي عبقري من البصرة، وأعلام في النحو العربيّ.[٥]

من فكر الدكتور مهدي المخزومي في اللغة

كانت للمخزومي وقفات و بصمات أضاءت مسالك الباحثين من ذلك حدِّه للجملة إذ قال: (وهي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أيَّة لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أنَّ صورة ذهنية كانت قد تآلفت أجزاؤها في ذهنه وتآلف بعضها، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع)[٦]

ولهذه الوحدة الكلاميّة الصغرى (أهميّة كبرى في التعبير والإفصاح والتفاهم)[٧].

تتجلى أهمية الجملة عنده في:

١. التعبير.
٢. الإفصاح.
٣. التفاهم.

وفي هذا يؤكد الدكتور المخزومي على نواحٍ هي:

١. الدراسة الصوتية بمخارج أصواتها وصفاتها وحسن تشكيلها وتآلف بعضها مع بعض.
٢. الكلمة المفردة، وبناؤها واشتقاقها.
٣. العناية بالكلمة مع ما يجاورها في الجملة كونها أصغر صورة من صور التعبير.

مما تقدم نستخلص أنَّ الدكتور المخزومي ربط بين علوم العربية مبتدئاً بالمستوى الصوتي مبيناً قيمته في الأداء اللغوي وهو الأساس الذي تبنى عليه الجملة وقد بيّن قيمة كلّ من الصوت المفرد (الفونتك) و الصوت التشكيلي (الفنولوجي)، وبين علاقة الصوت بالنحو كون أنَّ النحو مرتبط بالإعراب وحركات الإعراب هي صوائت سواء كانت قصيرة أم طويلة، فضلاً عن ذلك ربط بين الكلمة وعلم الصرف من ناحية اشتقاقها، وأشار إلى ارتباط علم البلاغة بعلم الصوت كونها تستند إليه.

ذلك أنَّ البلاغة تهتم بفصاحة المفردة التي تعني أنَّ المفردة يجب أنْ تؤلف

من أصوات منسجمة لا يشوبها الثقل وإنْ تتناسق مع الأصوات المحيطة بها. و بين ارتباط علم المعاني بعلم النحو ولا يمكن أنْ ينفصل عنه.

جهود الدكتور المخزومي في تيسير النحو العربي

اهتم الدكتور المخزومي بالنحو العربي ولجأ إلى تجديده وتيسيره وذلك بإعادة النظر فيما قدمه العلماء الذين أدخلوا العامل وتشعبوا في العلة النحويّة، وهؤلاء يمثلون المتأخرين من النحاة أصحاب المتون والشروح والحواشي التي شابتها القواعد المنطقية والآراء الفلسفية، في حين لم يكن النحو شاملاً لهذه الأمور عند النحاة القدماء.

اعتمد الدكتور المخزومي المصادر القديمة فضلا عن اعتماده النحو الكوفي وما استخلصه من كتاب (الرّد على النحاة)لابن مضاء القرطبيّ وما اكتسبه من كتاب (إحياء النحو) لأستاذه إبراهيم مصطفى، فضلا عن استناده إلى خزينه الوافر وما تمرّسه من النحو.

وضع الدكتور المخزومي (الكتاب) ومعاني القرآن نصب عينيه، فضلاً عن كتاب شرح الكتاب للسيرافي والمفصل للزمخشري والإنصاف لابن الأنباري والمغني لابن هشام. وهمع الهوامع للسيوطي وشرح الفية ابن مالك وغيرها.

كان نتيجة هذه الوقفة تنبيه الدكتور المخزومي إلى الأخطاء التي وقع فيها النحاة، من ذلك أنّهم قالوا وجوب تأخير الفاعل عن فعله؛ لأنَّ الفعل هو العامل فيه والمؤثر ينبغي أن يتأخر عن المتأثر به، وهذا حكم عقلي لا لغويّ، إلاَّ أنَّ المخزومي ذهب إلى أنَّ الفاعل ما وقع منه الحدث (الفعل) سواءً تقدَّم في الجملة على الفعل أم تأخّر عنه.

وهكذا أخذ المخزومي يقف على آرائهم ويهتدي إلى الصواب فيها. إذ أوصله البحث العلمي إلى أنَّ كثيراً من مظاهر الإعراب ومشكلاته يمكن حلّها على أساس النظرة اللغوية الخالصة من دون تكلف ولا لجوء إلى العلل والتفسيرات الفلسفية، فالفاعل

والمبتدأ مرفوعان لأنَّهما مسند إليهما شيء في الجملة، ولا عمل لأيِّ أمرٍ آخر، وأنَّ الضَّمة علم الإسناد في المرفوعات نحو الخبر الذي هو المبتدأ. فإنْ كان غير المبتدأ أخذ حركة النصب.

وذهب إلى أنَّ الفعل المضارع يرفع غالباً إذا دلّ على الحال، فإذا كان زمنه مستقبلاً نصب للتفريق بينهما، لا بعمل الأدوات الدّالة على النصب[٨]

وتطرق إلى تقسيم القدماء للجملة على إسمية وهي التي تبدأ باسم، وفعلية وهي التي تبدأ بفعل إذ قال: (دأب الناس على تقسيم الجملة إلى جملة إسميّة وجملة فعليّة، وهو تقسيم صحيح يقرّه الواقع اللغويّ، ولكنَّهم بنوا دراساتهم اللغويَّة على غير منهجها، فلم يُوفقوا إلى تحديد الفعليّة والإسمية تحديداً يتفق مع طبيعة اللغة. فالجملة الإسمية هي التي تبدأ بالاسم، والجملة الفعلية هي التي تبدأ بالفعل... وهو تحديد ساذج يقوم على أساس من التفريق اللفظي المحض، فجملة (طلع البدرُ) جملة فعلية وجملة (البدرُ طلع) أو جملة (البدرُ طالعٌ) أو جملة (طالعٌ البدرُ) جملة اسمية. وهذا تقسيم القدماء يقوم على المعياريّة، أمَّا تقسيم الدكتور المخزومي فهو تقسيم وصفي وعلى هذا فالجملة الفعلية هي الجملة التي يدل فيها المسند على التجدد أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجدداً، وبعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند فعلاً؛ لأنَّ الدَّلالة على التجدد إنَّما تستمد من الأفعال وحدها[٩] .

وذهب الدكتور المخزومي إلى أنَّ كلاً من قولنا: (طلعَ البدرُ، والبدرُ طلعَ جملة فعلية. أمَّا الجملة الأولى فالأمر فيها بيّن ولا خلاف فيها مع القدماء، أمَّا الجملة الثانية فهي اسمية في نظر القدماء وفعلية في نظر الدكتور المخرومي ؛ لأنَّه لم يطرأ عليها جديد وما حصل هو تقديم المسند إليه وتقديم هذا لا يغير من طبيعة الجملة لأنَّه قُدِّم للاهتمام به.[١٠]

معنى هذا أنَّ الجملة الاسمية

عند الدكتور المخزومي، ما كان المسند فيها اسماً أفاد الثبوت والدوام أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافاً ثابتا غير متجدد أو التي يكون فيها المسند اسماً.[١١]

والاسم المنصوب على الاشتغال منصوب بالفعل الذي نُصب ضميرهُ العائد له لا بفعل آخر محذوف يفسره ما بعده وذلك لعدم توافر مانع لغويّ يمنع الفعل من التأثير في الاسم السابق والضمير معا، فضلاً عن ذلك كانت للمخزومي آراء قيمة في التنازع والنعت السببي، إذ رأى أنَّ النعت السببي لا يمت إلى النصّ بأمر، لأنَّ النعت يتبع المنعوت في أمور كثيرة والنعت السببي لم يتحقق فيه هذا.

و من مظاهر التيسير لديه أنَّه عد الفاعل ونائب الفاعل موضوعاً واحداً انطلاقاً من رأيه ليس هناك فرق بين (انكسرت الزجاجة وهي فعل مبني للمعلوم عن قولنا كُسرت الزجاجة) والفعل هنا مبني للمجهول، ومواضع أخرى كان يروم من ذكرها تيسير النحو العربيّ للباحثين والمتخصصين في هذا المسلك.

د المخزومي والترجمة

بينما كنّا نستذكر جهود الدكتور المخزومي أنا وبعض الأساتذة، أخبرني الأستاذ الدكتور تحسين الوزان عن الأستاذ الدكتور عبد الجبار المطلبي أنَّه قال عندما شرع في ترجمة كتاب المدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن لموسكاني وآخرين اتفق مع الدكتور المخزومي ليراجعه، وبعد أنْ أتمَّ الدكتور المطلبي ترجمته للكتاب أتى به إلى الدكتور المخزومي ليراجعه وإذا به يجد أن الدكتور المخزومي كان قد عدّل بعض المصطلحات اللغوية والنحويّة كونه متخصصاً باللغة والنحو وهذا أثار تعجب الدكتور المطلبي الذي انتهى بعدها إلى أنَّ الدكتور المخزومي كان يجيد اللغة الإنكليزية بعد أن أجهد نفسه ليتعلمها ويعتمد الكتب الأجنبية في دراساته.

أهم الرسائل والبحوث التي تناولت فكر الدكتور المخزومي

١. الدرس النحوي عند مهدي المخزومي بين التقليد والتجديد.رسالة ماجستير في اللغة (عمر معرش).

٢. أساليب التعبير في علم المعاني عند الدكتور مهدي المخزومي، فاروق محمود الحبوبي - بحث في مجلة أهل البيت العدد(٤).

٣. آراء المخزومي في النحو وتيسيره.

٤. محاولة مهدي المخزومي في تيسير النحو.

٥. محاولات تيسير النحو عند مهدي المخزومي (إيمان جبّاري).

٦. مناقشة الدكتور مهدي المخزومي في آرائه النحوية المتعلقة بالأفعال الواردة في كتابه (في النحو العربي نقد و توجيه (عبد الكريم مصلح أحمد البحلة).

٧. مهدي المخزومي وجهوده النحوية (رياض السواد).

٨. جهود مهدي المخزومي في تجديد الإعراب دراسة تحليلية وصفية (محمد خير الأمم).

٩. تيسير النحو العربي بين الجواري والمخزومي دراسة موازنة (فاطمة ناظم مطشر العتابي).

١٠. دراسة الصوت اللغوي عند الدكتور مهدي المخزومي (فاطمة المخزومي).

الهوامش:

١- الكتاب:٢/ ٣١٥ طبعة بولاق.

٢- تهذيب اللغة للأزهري:١/ ٤٣.

٣- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، اعماله، منهجه، د. مهدي المخزومي. وظاهرة الرفع في اللغة العربية،د. ولاء صادق محسن.

٤- كتاب العين ٥٢/١. الأصوات المذلقة في اللغة العربية، د. ولاء صادق

٥- ينظر كتبه الخليل بن أحمد، أعماله ومنهجه، وكتابه الفراهيدي عبقري من البصرة.

٦- في النحو العربي نقد وتوجيه: ٣١.

٧- في النحو العربي، نقد وتوجيه: ٣٣.

٨- ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٨-٩.

٩- في النحو العربي نقد وتوجيه: ٤١.

١٠- ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٤٢.

١١- ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٤٢

المصادر والمراجع

١. الأصوات المذلقة في اللغة العربية،د. ولاء صادق محسن ،ط١ ، دائرة البحوث والدراسات ٢٠١٩.

٢. تهذيب اللغة ،لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) طبعة جديدة مصححة وفريدة بفهرس الفبائي ،ط(دار إحياء التراث العربي) لبنان ٢٠٠١.

٣. الخليل بن أحمد الفراهيدي – أعماله ومنهجه ،د. مهدي المخزومي، مطبعة الرائد – لبنان .

٤. عبقري من البصرة، د. مهدي المخزومي ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢.

٥. في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، بيروت ، ١٩٦٤.

٦. ظاهرة الرفع في اللغة العربية، د. ولاء صادق محسن ، دار الضياء، الأردن، ٢٠١٠.

٧. الكتاب – لسيبويه (ت ١٨٠هـ) ط١، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٧هـ.

٨. كتاب العين – للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، مطابع الرسالة – الكويت ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠.

٩. مدرسة الكوفة، د. مهدي المخزومي، ط٢، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٥٨.

ضوء على أهم قضايا التيسير النحوي عند المخزومي

م .د كريم ضباب مطر.

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين رسول ربّ العالمين محمّد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين،وصحبه الأبرار المنتجبين وبعد:

فإنَّ قضية التّيسير النحوي، ومسألة الخوض في المشكلات النحوية واللغوية ليست بالمهمة السهلة،فصعوبتها وممانعتها نابعة من سعة اللغة العربية ومداها الواسع وكثرة فروعها وتشعُباتها، وتنوع مفاصلها، ومع هذا كلّه نجد مَنْ تجشَّم العناء وخاض الغمار، لهدف واحد فقط هو نصرة اللغة العربية وتكريماً لها وحفظها وتسهيلها على أبنائها المتعلّمين، فكان الدكتور محمد مهدي المخزومي من هؤلاء الميسّرين الذين لهم كان قصب السبق في هذا العمل الكبير والعظيم في العصر الحديث، وقد حاولت هذه الورقة البحثية توضيح بعض القضايا التي قدّمها الدكتور محمّد مهدي المخزومي في تيسير النحو، متخذة كتابه (في النحو العربي: نقد وتوجيه) رافدها الأساسي والوحيد لما يحتويه من جهود علميّة عظيمة منصبة في مسألة تيسير النحو وتخليصه من الشوائب، ولم تقتصر هذه الورقة على الجهود العلميّة في تيسير النحو وإنّما كان لها الشرف الكبير في تسطير بعض من محطات حياة المؤلف التي أثَّرت به وجعلته على ما هو عليه، فضلاً عن ذكر آراء بعض من درَّس المخزومي وعرَف مدى علمه وفطنته وإتقانه لعلم النحو ومعرفته بأدّق تفاصيله، وانتهت هذه الورقة بخاتمة كان فيها أهم النتائج لهذه الدراسة.

المدخل:

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد حظيت اللغة العربية باهتمام بالغ وعناية كبيرة في مختلف مفاصلها، فتنوعت المؤلفات وتوسّعت المصنفات، وتشعبت علوم اللغة وتعقدت فروعها، فكانت مسالكها وعرَّة ومشاربُها مُعثرة، والسالك فيها يتخوَّف الانزلاق وعدم قدرته على اللحاق، فتولّدت لدى بعض الباحثين الرغبة في تذليل تلك الصعوبات وإبعاد الشوائب والعقبات ليتضح الطريق ويتيسّر المسلك لجميع الدارسين، وتتوفر

الدروس النحويّة واللغويّة بصورة واضحة وسهلة ومفهومة لمختلف طلاب العلم، فوضعت البحوث والدراسات لذلك، وبذلت الجهود وتنوعت لتشمل مختلف طرق التسهيل والتبسيط والتّيسير في هذا المجال، خدمة وصيانة للغة العربية وخوفا عليها من الضياع والاندثار، من أجل هذا كلّه صنّف الدكتور محمّد مهدي المخزومي كتابه (في النحو العربي نقد وتوجيه)، فضلاً عن دراسات وأبحاث كثيرة كان همَّها تخليص النحو العربي مما علق به نتيجة لتداخل مباحثه بمباحث المنطق والفلسفة والنظريات اللغويّة الدخيلة غير الأصيلة.

وتُعَدّ دراسات وأبحاث المخزومي في هذا المجال تطويراً حديثاً وتوجيهاً جديداً للدراسات النحويّة، وهي استمرارا لما أنتجه النحاة من دراسات في تطوير الدرس النحوي، وتسهيل مباحثه وتوضيح مفاهيمه، لقد بذل المخزومي قصارى جهده من أجل حلّ الإشكاليات النحويّة واللغويّة التي كانت عائقاً أمام تلبية حاجات المتعلّمين.

ضوء على حياة المخزومي:

هو مهدي بن الشيخ محمّد صالح بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد صالح، آل زاير دهام، الشهير بالمخزومي. ولد في النجف الأشرف عام (١٩١٠ م) في محلـــــة" العمارة. من أسرة عربية عريقة تعرف بـ " آل زاير دهام ". هاجرت من العمارة إلى النجف، في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة، وتعود بالنسب إلى قبيلة بني خالد، وهـــم بطـــن من مخزوم.[١]

و بعد أنْ تعلَّم القراءة والكتابة ((دخل مدرسة الغري الأهلية، وتخرج فيها، ثم دخل المتوسطة، ولم يتمّ الصف الأوّل منها، وانحاز إلى الدراسة القديمة. ودخل حظيرة الجامع الهندي، حيث أخذ يدرس المقدمات))[٢] وعلوم النحو والبلاغة ومعالم الأصول على يد مجموعة من الشيوخ منهم عباس المظفر، ومحمد تقي صادق، والشيخ مهدي الظالمي[٣] = وقد نمَّت الدراسة الدينية عنده الموهبة الفكرية وجعلته يتفوق على أقرانه في الدراسة، وكان الأدب هاجسه الأكبر ممَّا دفعه للانتساب إلى جمعية الرابطة الأدبيّة في النجف الأشرف التي

كانت تهدف إلى بث الروح العربيّة، وتنمية الشعور القومي وخدمة العربيّة وآدابها. وقد كان رئيسها الشيخ محمد علي اليعقوبي، ومن أعضائها البارزين محمود الحبوبي ـ ابن أخ السيد محمد سعيد الحبوبي ـ ومحمد علي البلاغي صاحب مجلة البلاغ[٤].

وحصل على شهادة الماجستير، ومن ثم الدكتوراه في اللغة العربية من مصر بعد رحلة طويلة مع الدراسة استمرت عدة أعوام كانت جامعة فؤاد الأوَّل أولى محطاتها فكان بحثه للماجستير بعنوان (الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه) بإشراف الأستاذين أمين الخولي وإبراهيم مصطفى، أمّا بحثه للدكتوراه الموسوم بـ ((مدرسة الكوفة النحوية ومنهجها في اللغة والنحو ((بإشراف الأستاذ مصطفى السقا، وكان موفقا في اختياره موضوعي البحثين توفيقا كبيراً جداً[٥].

واستمر المخزومي في التدريس في جامعة بغداد وكلية الآداب وكلية الأصول وكلية الفقه وتَسنَّم منصب رئاسة قسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة بغداد، ومانفك عن أداء رسالته العلميّة مع الصعاب، فكانت وفاته في إحدى حلقاته العلميّة يوم الجمعة المصادف الخامس من آذار عام ١٩٩٣م.

لقد كانت للمخزومي أيادي بيض في تطوير مادة النحو تطويراً شاملاً، إذ طُبقت في النحو القواعد المنطقية والآراء الفلسفية، والتزمت الحدود والتعاريف الدقيقة الغامضة، مثل ما نراه في كتب المتأخرين، بينما لم يكن القدماء يحفلون بذلك كلّه وإنَّما كانوا يحرصون على المثال وحده ويجعلونه فارقا بين معنى وآخر ويعدونه الطريق لتصوّر الموضوع[٦]، واشتهر عند المخزومي مجموعة من المؤلفات النحوية التي اعتمدت على تيسير النحو هي ((في النحو العربي، نقد وتوجيه، في النحو العربي، قواعد وتطبيق، ومدرسة الكوفة ، وقضايا في النحو وتاريخه)) وتُعدّ هذه المؤلفات من أمتع الدراسات العلميّة ؛ لأنَّها قائمة على أساس علميّ متينٍ، وكلُّ دراسة لا تقوم على أساس علمي، فإنَّ مصيرها الإخفاق والفشل، وكانت قواعد المخزومي في الدراسة تعتمد على

قراءة النحو القديم في جميع نصوصه ومذاهبه،واستخلاص خير عناصره، وتقديمها إلى الطلاب والدّارسين في أسلوب واضح، وترتيب محكم يعلَقُ بالنّفوس، ويستقرّ في العقول[٧].

ضوء على أهم القضايا في تيسير النحو:

لقد وجد الدكتور محمد مهدي المخزومي كثيراً من المشكلات النحوية التي تحتاج إلى حلول، فعقد العزم على وضع تلك المشكلات نصب عينيه ليجد لها حلولاً سهلة خاليةً من التعسّف الذي ارتكبه النّحاة القدماء، فجاءت المسائل النحوية عنده سلسة ومفهومة لا تحتاج إلى فلسفة ومنطق، وإنَّما تحتاج إلى فهم طبيعة اللغة.

ويرى المخزومي أنَّ التيسير هو عرض جديد لموضوعات النحو بيُسر وسهولة وليس اختصاراً ولا حذفاً للشروح والتعليقات، حتى يتمكن طلاب العلم من أخذها واستيعابها وتمثّلها[٨].

ولتحقيق ذلك لابدَّ أنْ نخلّص النحو من الفلسفة التي حملت معها فكرة (العامل)، ويجب تحديد موضوع الدرس اللغوي وتعيين نقطة البداية، ليتسنى للدارسين معرفة ما يبحثون فيه.

ومن ضمن المشكلات النحوية والإعرابية التي عالجها المخزومي هي ((الفاعل والمبتدأ مرفوعان، لأنَّهما مسندٌ إليهما شيء في الجملة، ولا عمل لشيء فيهما، والضمّة في العربية عَلَمُ الإسناد في مرفوعات الأسماء، والفعل المضارع يُرفع غالبا إذا كان زمنه حاليّاً، فإذا كان زمنهُ مستقبلاً نُصِبَ للفرق، لا بعمل الأدوات الناصبة، والفتحة في آخر المضارع عَلَمُ الاستقبال))[٩] وكانت الجملة ميدان عمل المخزومي من حيث تأليفها ونظامُها، وطبيعتها وما يعرض لها من أدوات؛ إذ حاول توجيه الدرس النحوي إلى الوجهة التي رآها أشبه بطبيعته، منتقداً أعمال النحاة مناقشا أحكامهم.

ويُعدُّ الدرس الصوتي من أهم القضايا التي أكَّد عليها المخزومي في تيسير النحو، لما له من أهميَّة في تقويم اللسان ونطق الحروف وإظهار صفاتِها في الصحة والاعتدال والإدغام والجهر والهمس والانطباق والانفتاح، ومن ثم أكَّد على بنية الكلمة والجانب الصرفي

الذي يتعلق في تأليف الكلمة والميزان الصّرفي وعلاقته المباشرة بعلم النحو[١٠]، وقسم الكلام إلى أربعة أقسام (فعلٌ واسمٌ وأداة وكناية) مخالفا للتقسيم القديم الجديد (اسم وفعل وحرف)، فالكلام عنده يختلف عن الكلام عند القدماء والمحدثين من النحاة في تقسيمه زيادة وإضافة اقتضتها طبيعة الكلام بحسب. وقد قَسَّم الموضوعات النحوية بناءً على دوائر إعرابِها من رفعٍ وخفضٍ ونصبٍ، ومن ثمَّ عالج مجموعة من الموضوعات منها المنصوبات فهو يراها كثيرة في اللغة العربية بعضها يؤدي وظيفة لغويّة، والبعض الآخر لا يؤدي هذه الوظيفة ولكنه منصوب؛ لأنَّ الفتحة أخف الحركات في درج الكلام، فمن الأوّل الذي يؤدي الوظيفة: المفاعيل (المفعول به، والمفعول مم

فيه، والمفعول معه، والمفعول لأجله، والمفعول المطلق)، والحال، والتمييز، والمستثنى بإلاَّ، والتوابع للمنصوبات، ومن الثاني الذي لا يؤدي وظيفة: المناديات المنصوبات، التي لم تنصب إلاَّ لأنَّ الفتحة أخفّ الحركات الإعرابية في درج الكلام، كما فطن الخليل له في المنادى المضاف والشبيه بالمضاف والنكرة غير المقصودة[١١]، وله رأي في أنواع الجمل وتقسيمها إذ يقول ((دأب الناسُ على تقسيم الجمل إلى جملة اسمية، وجملة فعلية، وهو تقسيم صحيح يقرّهُ الواقع اللغوي، ولكنّهم بنوا دراساتهم اللغوية على غير منهجها، فلم يُوفقوا إلى تحديد الفعليّة والاسميّة تحديداً يتّفق مع طبيعة اللغة، فالجملة الإسميّة هي التي تبدأ بالاسم، والجملة الفعلية هي التي تبدأ بالفعل... وهو تحديد ساذج، يقوم على أساسٍ من التفريق اللفظي المحض... فالجملة الفعلية هي التي يدلُّ فيها المسند على التجدّد أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجدداً... أو هي التي يكون فيها المسند فعلاً لأنَّ الدّلالة على التّجدّيد إنَّما تُستمد من الأفعال وحدها،... والجملة الإسمية هي التي يدلُّ فيها المسند على الدّوام والثبوت ، أو التي يتّصف فيها المسند إليه اتصافا ثابتا غير متجدد))[١٢]، ويتألف القسم الثالث من الكلام عند المخزومي من الجملة الظرفية التي يتصدرها ظرف أو مجرور، نحو: أ

عندك زيدٌ؟ و: أ في الدّار زيدٌ؟ إذا قدّرت زيداً فاعلاً بالظّرف والجارّ والمجرور، لا بالاستقرار المحذوف، ولا مبتدأ مخبر عنه بهما[١٣]، حاول المخزومي تعريف الجملة وإبراز وظيفتها في نقل الأفكار من ذهن المتكلم إلى ذهن المتلقي، وهذا الاهتمام بوظيفة الجملة والتحدث عنها، يخالف منهج النحو القديم الذي يدعو إلى الجانب الشكلي على حساب الوظيفة[١٤] ؛ إذ يتضح النَفَس التجديدي لدى المخزومي في معالجة الجملة وتحديد وظيفتها في التواصل بين المتكلم والسامع ونقل الأفكار بصورة واضحةٍ ومفيدةٍ فوضع على عاتقه تذليل الصعوبات والتعقيد الذي يواجهه الدارس للنحو واللغة.

الخاتمة:

١ـ عاش المخزومي حياة صعبة وشاقة تنوعت فيها دراسته من الحوزوية إلى الأكاديمية التي ختمها بحصوله على شهادة الدكتوراه، مما ساعد في ثراء مخزونه الفكري والثقافي، وبرزت ملكته الأدبية واللغوية التي وظفها في معالجة القضايا النحوية وتيسير الدرس النحوي وإضفاء السهولة واليسر عليه حتى يكون متاحاً لجميع الدارسين.

٢ـ عرف المخزومي التيسير بأنَّه عرض جديد للموضوعات النحوية بطريقة مبسطة مفهومة يستطيع طالب العلم من استيعابها وتمثلها.

٣ـ استهدف المخزومي الجملة فكانت ميدان عمله من حيث تأليفها ونظامُها، وطبيعتها وما يعرض لها من أدوات ؛ إذ حاول توجيه الدرس النحوي إلى الوجهة التي رآها أشبه بطبيعته، منتقدا أعمال النحاة مناقشاً أحكامهم.

٤ـ أكَّد المخزومي على الدرس الصوتي لما له من أهمية في تقويم اللسان ونطق الحروف وإظهار صفاتِها في الصحة والاعتدال والإدغام والجهر والهمس والانطباق والانفتاح وغيرها.

٥ـ قسم الكلام إلى أربعة أقسام (فعلٌ واسمٌ وأداة وكناية) مخالفاً للتقسيم القديم (فعل واسم وحرف)، فضلاً عن تقسيم الموضوعات النحويّة بناءً على دوائر إعرابِها من رفعٍ وخفضٍ ونصبٍ.

٦ـ عالج المخزومي مجموعة من الموضوعات منها المنصوبات، إذ قسمها إلى قسمين الأوّل الذي يؤدي وظيفة لغوية وهي المفاعيل (المفعول به،

والمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول لأجله، والمفعول المطلق)، والحال، والتمييز، والمستثنى بإلاَّ، والتوابع للمنصوبات، والآخر الذي لا يؤدي تلك الوظيفة وهي المناديات المنصوبات ، التي لم تنصب إلاَّ ؛ لأنَّ الفتحة أخف الحركات الإعرابية في درج الكلام.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربِّ العالمين.

الهوامش:

١- شعراء الغري: ١٢/ ٢٨٦.

٢- شعراء الغري:٢٨٦/١٢.

٣- شعراء الغري:٢٨٠/١٢٠ ــ ٢٨٥

٤- مهدي المخزومي وجهوده في الدراسات النحوية واللغوية:عبد الحميد الرشودي:٢٠

٥- ينظر: في النحو العربي: نقد وتوجيه، مهدي المخزومي:٥ــ ٦.

٦- ينظر: في النحو العربي: نقد وتوجيه:٧ ــ ٨.

٧- ينظر: في النحو العربي:نقد وتوجيه:١١

٨- ينظر: في النحو العربي: نقد وتوجيه:١٥.

٩- في النحو العربي، نقد وتوجيه:٨ ـ ٩.

١٠- ينظر: النحو العربي بين الأصالة والتجديد: ٢١٥.

١١- ينظر: في النحو العربي: نقد وتوجيه:٨٤.

١٢- في النحو العربي، نقد وتوجيه: ٤٠ ـ ٤١ ـ٤٢.

١٣- ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه:٥٠

١٤- ينظر: النحو العربي بين الأصالة والتجديد:٢٢٢.

المراجع:

١- شعراء الغري، علي الخاقاني، المطبعة الحيدرية، النجف، دط، ١٩٥٤م.

٢- في النحو العربي: نقد وتوجيه، الدكتور محمد مهدي المخزومي،دار الرائد العربي، بيروت ــ لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.

٣- مهدي المخزومي وجهوده في الدراسات النحوية واللغوية:عبد الحميد الرشودي، جريدة المدى، ٢٠١٩م.

٤- النحو العربي بين الأصالة والتجديد، الدكتور عبد المجيد عيساني، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط١، بيروت ــ لبنان، ٢٠٠٨م.

حياته وجهوده العلمية

م. د فاطمة محمد علي حسين المخزومي/ كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

حياته:

وُلِدَ في بيت من بيوت محلّة العِمارة إحدى محلاّت النجف الأشرف الأربع المعروفة سنة ١٩١٩م [*]، وذكر الدكتور رياض السواد أنَّه وُلِدَ في سنة ١٩١٠م[١]، من أُسرة علميّة تُعرف بآل زائر دهام تنتمي إلى قبيلة بني خالد المخزومية، تلقّى تعليمه الأوّليّ على وفق الطريقة التي كانت سائدة في مدينته، إذ تعلّم القراءة والكتابة ثم شرع يتلقّى المعارف التي تُدْرس في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، إلاَّ أنَّ جذوة الطُّموح التي كانت تتوهّجُ في نفسهِ الطَّموح كانت تدفعه إلى أنْ يرمي ببصره إلى ما هو أبعد من هذهِ الحياة الرتيبة التي تَقْصُرُ فيها الخُطى بين البيت والجامع، وأنَّ ما جُبِلَ عليه من حبّ للتجديد وما ساد في العقود الأُولى من القرن العشرين من تيّارات نهضيّة جعله يضيق بدراسته الأُولى التي تعيشُ بمنأى عن هذه التيّارات، ويسيرُ فيه الخلفُ على هدى من خُطى أسلافهم، فاستطاع أنْ يحصل على تعيين في سنة ١٩٣٥م بوظيفة (وكيل معلّم) في إحدى مدارس محافظة ذي قار الابتدائية، وأنْ يظفر ببعثة علمية إلى مصر سنة ١٩٣٨م[٢]، فالتحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب من جامعة القاهرة التي كانت تسمّى آنذاك (جامعة فؤاد الأوّل) بعد أن اجتاز بتفوق اختباراً أُجْرِيَ للطلبة الذين لم يتمتّعوا بشهادات رسمية تُؤَهِّلهم للالتحاق بالجامعة[٣]، وتخرّج في هذه الكلية سنة ١٩٤٣م وعاد إلى العراق ليُعَيّنَ مدرِّساً في دار المعلمين الريفية في الرستمية التي بقي يُدرِّس فيها أربع سنوات حتى أُتيح له أن يرجع إلى القاهرة مرة أُخرى ليكمل دراسته العليا، إذ حصل على الماجستير سنة ١٩٥١م، وعلى الدكتوراه سنة ١٩٥٣م فرجع إلى العراق ليكون من أبرز أعضاء الهيأة التدريسية في كلية الآداب والعلوم من جامعة بغداد[٤]، وليصبح عضواً في لجنة تحرير مجلة المعلم الجديد، ويشغل وظيفة (رئيس التحرير) في مجلة الأديب التي أصدرها

اتّحاد الادباء بعد ثورة ١٤تموز ١٩٥٨م، ويتولّى عمادة كلية الآداب والعلوم في جامعة بغداد إلى سنة ١٩٦٣م، ثم سافر إلى السعودية ليتولّى رئاسة قسم اللغة العربية في كلية الآداب من جامعة الرياض، وفي سنة ١٩٦٨م رجع إلى العراق ليستأنف عمله أُستاذاً للنحو في كلية الآداب من جامعة بغداد ورئيساً لقسم اللغة العربية فيها حتى إحالته على التقاعد سنة ١٩٨١م، ولم يَحُل التقاعدُ دون مواصلته الجهود العلمية شأنه في ذلك شأن العلماء الأفذاذ الذين يُمَثِّلُ لهم الشأنُ العلمي هَاجِساً لا يُفارقهم، وفارق الحياةَ سنة ١٩٩٣م[٥].

ملامح عامّة من شخصيته العلمية:

لقد انماز المخزومي ببعض الملامح أو الصفات، ويمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

١- تشدّده في التخصّص والتعمّق، يقول: « وأصبحت الحاجة ماسّة إلى تفريق الموضوعات التي تناولها الخليل والفرّاء ومن عاصرهما مختلطة متشابكة، وإلى أنْ يعرف الدارس موضع قدمه، ليكون درسه أوضح حدوداً، وأعمَّ فائدة، وإلى أن ينبري لكلّ موضوع دارسون مختصّون، يتناول كُلّ فريق منهم موضوعه بإحاطة وعمق، لكي يتعاون الدارسون جميعاً في تقديم ما يحصلون عليه، ليتمّ للدارسين بحث لغويّ ناضج»[٦].

٢- حرصه على متابعة ما يصدر من مؤلفات لها عَلاقة باختصاصه والتعليق عليها أحياناً بملاحظ مفيدة، ومنها: (ملاحظ على كتاب نحو الفعل للدكتور أحمد عبد الستار الجواري)، و (ملاحظ على كتاب أبي زكريا الفرّاء للدكتور أحمد مكي الأنصاري)، وغيرهما.

٣- ردّه على ما يصدر من كتابات تنافي ما توصل إليه من نتائج وعَزْوُهُ ذلك إلى قلّة التروّي أو قلّة التعمّق أو متابعة الآخرين وعدم بذل الجهد الذي يتطلّبه الأمر، والشواهد على ذلك كثيرة، لذا سيكتفي البحث بالإشارة إلى بعضها في الهامش لِمَن يريد أن يطّلع عليها[٧] .

٤- الجرأة في ذكر آرائه حتى لو خالفت المألوفَ أو آراءَ مَنْ سبقه، ومن ملامح

الجرأة عنده أنّه ردّ على الدكتور أحمد عبد الستار الجواري عندما ألَّفَ كتاباً في تيسير النحو. وكان الدكتور المذكور وزيراً للتربية والتعليم في ذلك الوقت[٨]، يقول: «ولكنَّ ((نحو التيسير)) مع ذلك كُلّه خطوة جريئة في طريق التيسير لابدّ أن تتبعها خطوات، وكان من المتوقّع أن تصير النظريةُ إلى واقع عملي والفكرةُ المجرّدة إلى تطبيق، ولاسيَّما أنَّ مؤلّفه حَمَلَ المسؤوليةَ وزيراً للتربية زمناً طويلاً، غير أنَّ ((نحو التيسير)) بقي تيسيراً على الورق، ولم يعقد في وزارة التربية على كثرة ما عقد من مؤتمرات مؤتمراً يتناول ((المشكلة)) اللغويَّة المستعصية التي عانت منها الأجيال، وما يزال الناشئون يعانون منها، وينوؤون بها وهي ((مشكلة)) الدرس النحوي تدريساً وتأليفاً »[٩].

٥- الصرامةُ في مواجهة الآراء والشخصيّات، والحدّةُ في بعض الأحيان في تحديد المواقف، ولا يحسن بنا في مثل هذا المقام الاستشهاد ببعض النصوص التي تدلُّ على ذلك، لذا سيكتفي البحث بالإشارة إلى مظانّ بعضها في الهامش لِمن يُريد أن يطّلع عليها[١٠].

٦- إنّه كان حريصاً على التحقيق والوقوف على الحقائق بنفسه نائياً بنفسه عن متابعة الآخرين التي طالما أوقعت الدارسين في أخطاء المتقدمين وأسهمت في أنْ تقطعَ تلك الأخطاءُ قروناً طويلةً حتى وصلت إلى العصر الحديث، ومنها ما نسبه أبو القاسم الزجاجي (ت٣٤٠ هـ) إلى الفرّاء بأنّه كان يرى أنَّ (نِعْمَ) و (بِئْسَ) اسمان[١١]، ومتابعةُ بعض العلماء له في ذلك[١٢]، وقد حاول المخزومي الردَّ عليهم بعد أن تأمل في مواضع ورودهما في كتاب الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) (معاني القرآن) بقوله: «غير أنَّ الذي يقف على أقوال الفرّاء يستغرب أن يسير التمويهُ أو التدليسُ أو الخطأ، ويشيع حتى لكأنَّ ذلك حقيقة واقعة، لقد عرض لنعم وبئس في أكثر من موضع من كتابه (معاني القرآن)، ولم يكن في كلامه ما يُشير إلى أنّهما اسمان»[١٣] .

٧- يتّسم أسلوبه بالسخرية في بعض الأحيان، ويكفي للوقوف على ذلك الاطّلاع على مقالته التي بعنوان (كتاب في النحو بمثابة انقلاب) فهي قطعة نقدية ساخرة من أولها إلى آخرها، عرض فيها المخزومي بمرارةٍ كتاباً في النحو _ قواعد النحو البدائية في اللغة العربية لمحمد عبد الجواد أحمد_ صدر في القاهرة يحاول فيه صاحبه تيسير النحو، وعَرَضَ فيها بعضَ ما جاء فيه بأسلوب لا يستطيع القارئ له أن يمسك نفسه من الضحك في كثير من فقراته[١٤].

٨- وممّا في شخصيَّة المخزومي أنّه أديب، ودرس اللغة وحسّه الأدبي فاعلٌ، الأمر الذي كان له كبير الأثر في طبيعة دراسته وتوجّهاتها ونتائجها، وقد أيَّدَ ذلك الدكتور محمد حسين الأعرجي عندما ذكر أنَّ الشاعر (محمد مهدي الجواهري) قد أنشدَ قصيدته التي عنوانها (أيّها الأرق) أمام المخزومي وجملة من أصدقائه ليعرف رأيهم فيها قبل أن يُخْرجها إلى الناس[١٥]، يقول فيها:

أنا عندي من الأسى جَبَلُ
يتمشّى معــي وينتقلُ
أنا عندي وإن خبا أَمَـلُ
جذوةٌ في الفؤاد تشتعلُ[١٦]
إنَّما الفكرُ عارمٌ بطـلُ
أبدَ الآبديــنَ يقتتـلُ[١٧]

فأجابه المخزومي وهو مبتسمٌ بأنَّ الفكر لا يمكن أن يكون بطلاً في كُلّ حال من الأحوال، فاستحسن الجواهري رأيه وجعل كلمة (العارم) حالاً لِمَا قبلها[١٨]، فقال:

إنَّما الفكرُ عارماً بَطَلُ
أبدَ الآبدينَ يقتتلُ[١٩]

٩- طريقة تدريسه: انماز المخزومي بأسلوبٍ جميل ورائع بحيث كان جميع الطلبة دون استثناء يتوقون إلى سماع محاضرته مع أنَّه لم يلجأ إلى إحصاء عددهم أو تسجيل أسماء الغائبين منهم[٢٠]، فكانت محاضرته عبارة عن حلقة نقاشية بينه وبين طلبته ممّا يجعلهم قادرين على الوصول إلى الحلّ الصحيح[٢١]، والظاهر أنّه كان يستعمل

طريقة المناقشة التي من مزاياها تشجيع الطلبة على التفكير، وتقويم الأفكار التي يقدِّمها الآخرون[٢٢].

١٠- أمنيته العلمية: إذا كان للعلماء أمنية علميّة يتوقون إلى تحقيقها، ويسهرون من أجلها فإنَّ أمنية المخزومي هي أن يرى النحو العربي يُدْرَسُ في المدارس و الجامعات على أُسس علميَّة سليمة، وهذا ما بقي يكافح من أجله طوالَ حياته، ويظهرُ ذلك جليّاً فيما ذكره في مقالته الموسومة: (في ضوء قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية)، يقول فيها:« وحَسْبي من مقالتي هذه أنْ أستنهض المخلصين المؤمنين بلغتهم وتراثهم، وأنْ أستنفر الأذهان الذكيّة المتطلّعة إلى المستقبل، وأنْ أُثير نقاشاً في أهمّ موضوع مطروح للمناقشة الآن، موضوع الحفاظ على سلامة العربيّة، وإصلاح الدرس النحويّ علم العربيّة الأوّل وتقويم مناهجه»[٢٣].

نِتاجه العلمي:

يتكوّن نِتاج المخزومي من طائفة من الكتب والبحوث والمقالات بعضها مطبوع وبعضها الآخر ما يزال مخطوطاً، فأمّا المطبوع منها فهو على النحو الآتي:

• أولاً: الكتب المؤلَفة:

١ - الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه: يمثّل هذا الكتاب رسالته للماجستير التي أعدّها تحت إشراف الأُستاذ إبراهيم مصطفى، حاول فيه أن يرسم صورة للخليل وأنْ يُلمَّ بجميع جوانبه المعرفية، فتناول فيه بيئة البصرة، والنحو عند الخليل، والجانب الصوتي، والبناء العامّ للكلمة، غير أنَّه لم يعقدْ فصلاً لدراسة المعجم ولا لدراسة العروض عند الخليل بل تناولهما في أثناء دراسة الموضوعات الأُخرى[٢٤].

٢- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: وهو رسالته للدكتوراه التي أعدّها تحت إشراف المرحوم مصطفى السقّا، حاول فيه أنْ يؤرّخ لرجال مدرسة الكوفة، ويدرس جهودهم، ويُقدّم صورةً واضحةً للنحو الكوفي منذ نشأته، ويوازن بين منهج المدرسة الكوفيّة ومنهج المدرسة

البصريّة، ويُنْصِفَها إنصافاً علمياً[٢٥].

٣- في النحو العربي نقد وتوجيه: ومضمون هذا الكتاب « نقد لأعمال النحاة، ومناقشة لأحكامهم التي أقاموها على أساس فكرة العامل»[٢٦]، ويُعَدُّ وجهةً جديدةً تعالج موضوعين مهمّين لا ينبغي التفريط بأحدهما؛ لأنّهما يمثّلان وحدة واحدة لا يمكن أن تتجزّأ[٢٧]، «الموضوع الأوّل: الجملة من حيث تأليفها، ومن حيث طبيعتها، ومن حيث أجزاؤها، ومن حيث ما يطرأ على أجزائها في أثناء التأليف من تقديم وتأخير، ومن إظهار وإضمار، والموضوع الثاني: ما يعرضُ للجملة من معانٍ عامّة تؤدّيها أدوات التعبير التي تُستخدَمُ لهذا الغرض، كالتوكيد وأدواته، والنفي وأدواته، والاستفهام وأدواته »[٢٨].

١. في النحو العربي قواعد وتطبيق: وهو تطبيقٌ لرؤاه التي احتواها كتابه المذكور آنفاً، وقد مَهَّدَ للموضوعات النحوية بذكر الأصوات اللغوية، وأثر الخليل في دراستها وفضله في دراسة صفاتها والظواهر التي تنتج من تآلفها، جاعلاً هذه الموضوعات الصوتية مع كلام على بِنْية الكلمة مَدْخلاً لدراسة النحو العربي[٢٩].

٢. عبقري من البصرة: وهو عَوْدٌ على موضوع رسالته للماجستير الذي مرَّ آنفاً، إذْ استجدتْ لديه بعض الأفكار التي تتعلَّق بذلك الكتاب من خلال مواصلته البحثَ العلميّ في أثناء تدريسه في الجامعة، فعاد إليه بعد سنين كثيرة محاولاً أنْ يستدرك ما فاته، فكانت ملاحظ وتعليقات وإضافات، وكان ينوي أن يُلحقها بكتابه السابق ليجعله أكثر قوة، ولكنْ وُجِّهتْ إليه دعوةٌ لأنْ يكتبَ بحثاً عن أعمال الخليل في مهرجان المربد، فجمعها وقدَّمها في هذا الكتاب[٣٠].

٣. الدرس النحوي في بغداد: وهو كتابٌ في تأريخ النحو يشرحُ فيه رأيه في المدارس النحوية، ويذكرُ الأدلّة في الردِّ على الذين يذهبون إلى وجود مدرسة بغداديّة، وواضحٌ من العنوان أنَّه يستعمل (الدرس النحوي في بغداد) بدلاً من (المدرسة البغدادية)، وفيه

ردود على كثير من الدارسين المحدثين الذين يختلفون معه في الرأي.

٤. أعلام في النحو العربي: وهو كتابٌ يترجمُ لبعض أعلام الدرس النحوي كالكسائي (ت١٨٩هـ)، والفرّاء وغيرهما، وكان في الأصل مقالات ثم جمعها في هذا الكتاب.

٥. قضايا نحوية: وهو كتابٌ تناول فيه بعض الموضوعات النحوية التي دَرَسَ أكثرَها في كتبه السابقة، جدَّتْ له فيها بعض الآراء وبعض التوجيهات، وكان قد نشر أكثر موادّه في مقالات ثم جمعها في هذا الكتاب الذي نُشِرَ بعد وفاته.

ثانياً: الكتب المحقَّقة:

١. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي بالمشاركة مع الدكتور إبراهيم السامرائي.

٢. ديوان الجواهري بالمشاركة مع الدكتور علي جواد الطاهر، والدكتور إبراهيم السامرائي، والأُستاذ رشيد بكتاش.

ثالثاً: الكتب المترجّمة:

-نحو اللغات الساميّة المقارن لموسكاتي بالمشاركة مع الدكتور عبد الجبار المطّلبي.

رابعاً: البحوث والمقالات:

للمخزومي عدد كبير من البحوث والمقالات ذكرها الباحثون الذين درسوا جهوده دراسة مستقلة[٣١]، لذا سيكتفي البحث بذكر أشهرها، وهي على النحو الآتي:

١. دعوة جادّة لإصلاح العربية[٣٢].

٢. رأي في إسناد الفعل[٣٣].

٣. رأي في موضوع علم النحو[٣٤].

٤. نحاة مصريون[٣٥].

٥. في صميم المشكلة[٣٦].

٦. نحاة أندلسيون[٣٧].

٧. الخليل بن أحمد الفراهيدي[٣٨].

٨. الدرس النحوي في الجامعة[٣٩].

٩. الدرس النحوي بين المدرسة النظامية والجامعة الحديثة[٤٠].

١٠ - ملاحظ على تعقيب الدكتور نوري حمّودي القيسي على مقالته (الدرس النحوي في الجامعة)[٤١].

١١ - ملاحظ عامّة على كتب قواعد اللغة العربية في المرحلة الابتدائية[٤٢].

١٢ - في ضوء قانون الحفاظ على سلامة

اللغة العربية[٤٣].

١٣ - كتاب في النحو بمثابة انقلاب[٤٤].

١٤ - آراء مطروحة للمناقشة[٤٥].

١٥ - مقترحات حول الحفاظ على سلامة اللغة العربية[٤٦].

١٦ - الإعراب في النحو العربي[٤٧].

١٧ - قراءة جديدة في الكتاب[٤٨].

١٨ - ملاحظ على كتاب (نحو الفعل) للدكتور أحمد عبد الستّار الجواري[٤٩].

وأمّا آثاره المخطوطة فهي:

١. تصويب ما حقّقه الدكتور إبراهيم السامرائي من كتاب العين، وهي وريقات أثبت فيها تصويبات لما وجده في القسم الذي قام بتحقيقه الدكتور إبراهيم السامرائي من أُمور لم يحالفه التوفيق فيها، محاولاً بذلك أنْ يُخرجه إخراجاً جديداً يكون أكثر دقّةً من السابق، يُفْهَمُ هذا من قوله « ولم يتبيَّنْ لنا عظمُ الخطأ إلاَّ بعد أن أَعدتُ النَّظرَ فيما حَقَّقَهُ السامرائي في الأجزاء الأربعة الأُولى بعد أنْ اكتشفتُ الهفواتِ اللُّغويَّةَ والنحويَّةَ والتّصحيفَ والتّحريفَ في حِصَصِهِ في الأجزاء الأربعة الأخيرة، وهي هفوات لا يُسْكَتُ عليها بسبب من استعجالٍ وعدم مبالاة، وكان لابدَّ أنْ أُصَحِّحَ ما كان خطأً، وأُنَبِّهَ على ما كان مُصَحَّفاً أو مُحَرَّفاً ؛ لأنِّي أحرصُ كلَّ الحرص على خدمة هذا العمل اللغويّ الأصيل، ولأنِّي شريكٌ في (المسؤولية)، ولابدَّ من تحمّلها ولو اقتضينا في ذلك جَهْداً ونَصَباً، واستطعت بعد جهد جهيد أن أُنقذ الأجزاء الأربعة الأخيرة من هفوات لا تُغْتفر جرى بها قلم الزميل وهو يستعجل في إنجازه حِصَصَه، ولا أدّعي أنّي وُفِّقتُ كلَّ التوفيق فقد فاتني في حِصَصِهِ ما فاتني في حِصَصي من هفوات، وما أكثر الخطأ في مطبوعاتنا وإذا احتمل الخطأ في بعض المطبوعات فهو غير مُحْتَمَل في معجم، وفي أوّل معجم عرفه تاريخ اللغات الحيّة، كان ذلك هو الدافع إلى إعادة النظر في تحقيق هذا الكتاب»[٥٠].

٢. ملاحظ: وهو كتاب جمع فيه بعض مقالاته التي لم تُنْشَرْ في كتاب[٥١].

وما لم يثبت له:

١. في الأصوات اللغوية عند العرب، وهو كتاب ذكره الأُستاذ الدكتور زهير غازي زاهد[٥٢]، ولم يتسنَّ لنا الوقوف عليه، وقد نفتْ وجودَه السيّدة نوال مهدي المخزومي[٥٣] .

الهوامش:

*- بحسب ما ذكرت كريمته (نوال).

١- ينظر:مهدي المخزومي وجهوده النحوية، دار الراية، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م:٢١.

٢- ينظر:علي الخاقاني، شعراء الغري، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦م: ١٢ / ٢٨٢.

٣- ينظر: محمد مختار جميل بريون،آراء المخزومي في النحو وتيسيره (رسالة ماجستير)، كلية الآداب،جامعة الفاتح، ليبيا، ٢٠٠١م:٧.

٤- ينظر: شعراء الغري: ١٢ / ٢٨٦.

٥- ينظر: آراء المخزومي في النحو وتيسيره:٩-١٠.

٦- في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م: ٢٧.

٧- ينظر: المرجع نفسه: ٧٢، والدرس النحوي في بغداد، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م: ٩١- ٩٢.

٨- ينظر: د. محمد حسين الأعرجي، أجداد وأحفاد دار المدى، سورية – دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م: ٦٦.

٩- د. مهدي المخزومي، ملاحظ على كتاب نحو الفعل، مجلة الرابطة، العدد الثاني، السنة الثانية، ١٩٥٧م: ٦.

١٠- ينظر: الدرس النحوي في بغداد: ٩٠-٩١، وملاحظ على تعقيب، مجلة الرابطة، العدد الثاني، السنة الثانية، ١٩٥٧م: ٢.

١١- ينظر: مجالس العلماء تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م: ٥٩.

١٢- ينظر:بهاء الدين عبد الله ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٣ / ٧٣.

١٣- الدرس النحوي في بغداد: ٤٣.

١٤- ينظر: كتاب في النحو بمثابة انقلاب، مجلة البلاغ، العدد الخامس،

السنة الرابعة، ١٩٧٣م.: ١-٦٢.

١٥- ينظر: أجداد وأحفاد: ٦٧.

١٦- ديوان الجواهري: جمع وتحقيق: د. إبراهيم السامرائي ود. مهدي المخزومي و د. علي جواد الطاهر ورشيد بكتاش،مطبعة الأديب، بغداد،١٩٧٥.:١١٦/٥.

١٧- أجداد وأحفاد: ٦٧.

١٨- ينظر: المرجع نفسه: ٦٧.

١٩- ديوان الجواهري:١١٦/٥.

٢٠- ينظر: د. شجاع العاني، الدكتور مهدي المخزومي أُستاذا ومعلماً، مجلة الأديب، السنة الثانية، العدد (٩٤)، ٢٠٠٥م: ١.

٢١- ينظر: أجداد وأحفاد: ٦٣ -٦٤.

٢٢- ينظر:عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، مصر، الطبعة السابعة: ٣٤.

٢٣- في ضوء قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية، مجلة المعلم الجديد، الجزء الثاني، المجلد (٣٩)، ١٩٧٨م: ٢/ ٩

٢٤- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م: ٢٧٥-٢٧٩.

٢٥- ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة النحو، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م: و – ز (المقدمة).

٢٦- في النحو العربي نقد وتوجيه: ١٦.

٢٧- ينظر:المرجع نفسه: ١٧.

٢٨- المرجع نفسه: ١٧-١٨.

٢٩- ينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م: ٣-١٠.

٣٠- ينظر: عبقري من البصرة دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م:٥-٦.

٣١- ينظر: مهدي المخزومي وجهوده النحوية: ٢٨-٣٠، وآراء المخزومي في النحو وتيسيره: ١٤-١٧.

٣٢- مجلة المعلم الجديد، الجزء الأول،١٩٥٤م: ١.

٣٣- المجلة نفسها، الجزء الثاني،١٩٥٥م: ١٢٩.

٣٤- مجلة كلية الآداب والعلوم، العدد

الأول، ١٩٥٦م: ١٠٤.
٣٥- مجلة المعلم الجديد،الجزء الرابع، ١٩٥٧م: ٤٨٢.
٣٦- المجلة نفسها، الجزء الخامس والسادس، ١٩٥٧م: ٦٦٨.
٣٧- المجلة نفسها، الجزء الثالث، ١٩٥٨م: ٣٤٥.
٣٨- مجلة البلاغ، العدد الثاني، ١٩٧٢م، السنة الرابعة: ١.
٣٩- مجلة الثقافة، العدد السادس ١٩٧٥م، السنة الخامسة: ٨٤.
٤٠- مجلة الرابطة، العدد الرابع ١٩٧٥م، السنة الثانية: ٣.
٤١- مجلة الرابطة، العدد الخامس، السنة الثانية، ١٩٩٧م: ١.
٤٢- مجلة ألف باء، العدد (٥٣٣)، ١٩٧٨م: ٢٩.
٤٣- مجلة المعلم الجديد، الجزء الثاني، المجلد (٣٩)، ١٩٧٨م: ١.
٤٤- مجلة البلاغ،العدد الخامس،السنة الرابعة،١٩٧٨م: ٥٨.
٤٥- مجلة جامعة الموصل، العدد الثاني، ١٩٧٨م، السنةالتاسعة: ٣٦.
٤٦- نحو لغة عربية سليمة،مجموعة بحوث كتبت بمناسبة صدور قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية،١٩٧٨م: ٨٢.
٤٧- مجلة الكاتب العربي، الجزء السادس عشر ١٩٨٦م، السنة الرابعة: ٤٨.
٤٨- المجلة نفسها، الجزء السادس عشر، ١٩٨٦م، السنة الرابعة:٦٨.
٤٩- مجلة الرابطة، العدد الثاني، السنة الثانية،١٩٥٧م: ٤.
٥٠- نسخة المخزومي من كتاب العين التي عليها تصويبات بخطه: ١ / ٢٥.
٥١- ينظر: مهدي المخزومي وجهوده النحوية:٣١.
٥٢- ينظر: المخزومي ونظرية النحو، دار الضياء، النجف الأشرف،الطبعة الأولى،٢٠٠٦م:١٨.
٥٣- في لقاء شخصي معها تمَّ في يوم السبت الموافق: ٢٠١٢/٩/٢٢.

الخليل بن أحمد الفراهيديّ والدكتور مهديّ المخزوميّ
روابطُ وصلات

م .د شهلاء خالد محمّد رضا / كليَّة التربية بنات / جامعة بغداد

يعدُّ الدكتور مهدي المخزومي علماً من أعلام التجديد النحويّ الذي تميّز بآراء سديدة منتقاة غرضها إبعاد الآراء الفلسفية والتأويلات والتقديرات، عن النحو والتي تُسبب إبعاد نفور دارس العربية عنها.

وقد كانت انتباهتي لآراء الدكتور المخزوميّ في دراسة الماجستير انتباهة المعجب بتلك الآراء السَّديدة التي سهلت وقلَّلتْ من تأويلات هدَّدتْ العربيّة بنعتها بصفات صعوبة الدرس واشكاليته ويرجع الفضل لانتباهتنا تلك لأستاذتنا القديرة الأستاذة الدكتورة ولاء صادق محسن التي كانت تلميذةً نجيبةً أحيت لأستاذها ذكره، ونقلت عنه تلك الآراء والأفكار فتجسدت لديّ تلك النظرة العميقة والتي نقلتها لنا أستاذتنا القديرة عن أوَّل منهل علم للعربية الخليل بن أحمد الفراهيديّ الذي كان في اعتقادي ذلك العالم الجليل الذي غبن حقه كالأستاذ الدكتور مهديّ المخزوميّ وخصوصا بعدما قرأت مؤلفه عن الخليل في أولِّ بحثٍ علميّ للدكتور المخزومي والذي كان رسالته لنيل شهادة الماجستير (الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه) والذي أشرف على بحثه أُستاذان من خبراء العربية هما: (أمين الخولي) وأستاذه (إبراهيم مصطفى) الذي تأثّر به كثيراً في بث آراءه في تجديد النحو العربيّ.

كان الدكتور مهدي المخزومي دارسا للنحو مصنفا الرأي السديد للمدرسة البصرية وأستاذها الخليل بن أحمد الفراهيدي وهذا يفند زعم بعض الدارسين من أنَّ الدكتور المخزومي كان مبتعداً عن آراء المدرسة البصريَّة بل هناك من ينْعَتُ تجديده ببعض الآراء العلميّة وتسهيلها انتقاصاً من العربية وعلمائها وهذا ما وجّه لي في مناقشتي للدكتوراه عندما استندت لرأيه في جواز تقديم الفاعل منعا للتأويلات والتعقيدات.

إنَّ الدكتور المخزومي كان متعمِّقاً في دراسة النحو العربي وأخصّ آراء الخليل بن أحمد الفراهيدي فكانت آخر كلماته جوابه لطالبة سألته

عن نحو الخليل فلم يتمّ كلامه إلاّ وقد قبض الله روحه إليه تلك الروح العالمة التي لم تلبث أنْ تنشر علمها وإنْ لم تلقَ ترحاباً لأسباب غير علميّة عانى منها كما عانى بعض العلماء الذين نشروا أفكارهم السَّديدة.

لقد سار الدكتور المخزومي على خطوات أستاذه الدكتور إبراهيم مصطفى في تجديده إذ كان ميسرا بين قبول المجددين وإعجابهم ورفض المحافظين وسخطهم في محاولة تيسير النحو فكان فكره النحوي وما يزال يمدّ الدرس اللغويّ بنظريات بداياتها ما وصفه أسلافه النحويين[١].

وقد ذكر الأستاذ مصطفى السقا بأنَّ كلّ مزايا البحث العلمي الأمين قد اجتمعت للدكتور المخزومي بوضعه كتابه في (النحو العربي نقد وتوجيه) إذ بيَّن أنَّ قراءة النحو العربيّ كما قرأه الدكتور المخزومي سيجعلنا قادرين على وضع خطة شاملة وموفقة لتهذيب النحو العربيّ وتنقيحه وإقراره على القواعد المحكمة التي لا يتناولها التغيير والتبديل كلما قامت في النفوس ثورة التغيير[٢].

كما ميّز الفروق بين نحو القدماء المؤسسين للنحو ونحو المتأخرين أصحاب المتون والشروح والحواشي ليس في المصطلحات وحدها فقط بل في تطوير مادة النحو تطويرا آليا، إذ طبقت فيه القواعد المنطقية والآراء الفلسفية على مادة النحو، وهذا ما نراه في كتب المتأخرين من التزام الحدود والتعاريف الدقيقة التي نجد فيها غموضاً والتي لم يكن القدماء مهتمين بها، وإنّما حرصوا على المثال وحده،وجعلوه فارقا بين معنى وآخر، وجعلوه الطريق لتصوّر الموضوع من دون إلحاح على ما يندرج تحته أو يخرج عنه من صور التعبير والموافقة والخلاف.

ونراه قد يأتي بفروق بين نحو القدماء ونحو المتأخرين، فالقارئ لا يحسُّ إلاّ بأثر خفيف جداً لنظريّة العامل في كتب القدماء، وهذا عكس ما نجده عند المتأخرين الذين أعجبوا

بتلك النظرية وطبقوها في جميع أبواب النحو، ولم يكتفوا بذلك إذ اخترعوا أبواباً لم يهتم بها أكثر النحاة القدماء، اقتضاها الإلحاح في تطبيق نظرية العامل كما وضحنا كباب التنازع والاشتغال اللذين لا يخلو منهما كتاب من كتب المتأخرين وفيهما صور لم تألفها العربية على لسان فصيح أو غير فصيح(٣).

وقد أوضح الدكتور إبراهيم أنيس إعجابه بفكره الدكتور إبراهيم مصطفى والتي تبناها الدكتور المخزومي لظاهرة التنوين إذ برهن أنَّ علامة التنكير خاصة للاسم النكرة لكنَّ العلم ينون رغم كونه معرفة فقد بحث هذا بحثاً مستفيضا وانتهى بقاعدة مفادها أنَّ الأصل في العَلمِ ألاَّ ينون ولك ألاَّ تنوِّن العَلم وقد أُجيز أنْ تلحقه بالتنوين إذا كان فيه معنى من التنكير وأردت الإشارة إليه(٤).

لقد كانت تلك الأفكار النحويّة حلولاً لطيفة جَمَّلتْ النحو وأزالت عنه تأويلات لا طائل منها ولم يقف الدكتور المخزومي حائراً أمام صعوبة تلك الأحكام أمام المتعلم فها هو الأستاذ (مصطفى السقا) يخبرنا عن محاولة للدكتور المخزومي في تأليف كتاب يرسم منهج النحو المدرسيّ رسماً مهذّباً جامعاً لأصول وأبواب وتطبيق ما رسمه في كتابه (نقد وتوجيه) إذ تعدُّ من المحاولات التي تخدم العربيّة إذ وضّح أنَّ الكتاب سيكون خالياً من النظريات التعسفية وما بني عليها من أبواب معقدة كنظرية العامل وبابي الاشتغال والتنازع ونائب الفاعل وأمثال ذلك إذ وجد المؤلف حلولاً لغويَّةً سهلة لا تحتاج إلى نظرات فلسفيَّة ولا قياس منطقي إنَّما تكون منتزعة من الطبيعة اللغويَّة وحدها(٥).

وقد أوضح الدكتور المخزومي فكرة الخليل هذه من أنَّ العلل والتأويلات ظهرت بعد ذلك كما بيَّن أنَّ الخليل أوّل من التفت إلى صلة الدرس الصوتي بالدراسات اللغويَّة الصرفيَّة والنحويَّة لذلك كان الاهتمام بالدراسة الصوتية كبيراً فقد أعاد النّظر

في ترتيب الأصوات القديمة التي لم يكن لها ترتيب منطقي ولا أساس لغويّ، إذْ رتّب الأصوات بحسب مخارجها في الفم، فكان ذلك فتحاً جديداً ومنطلقاً لمعرفة خصائص الأصوات وصفاتها[٦].

وكانت التفاتات الدكتور المخزومي بربط فروع اللغة بالبلاغة مهمة جداً إذ لا بُدّ من معالجة أساليب التعبير المختلفة التي تقوم على بيان أثر الأدوات ودلالاتها فضلا عن بيان المعاني العامة التي تقع الجمل في سياقاتها في أثناء تأديتها الوظيفة اللغويّة من توكيد ونفي واستفهام ونحوها فكان لا بُدّ من أنْ ترد المعاني إلى الدّرس النحوي وإرجاع ما اقتطع منه وتوجيهه الوجهة التي تلائم طبيعته[٧].

فالكلمة العربية لا تبقى على حال فهي متغيِّرة وإنْ احتفظت بأصولها إذْ تتغير بزيادة بعض الحروف مؤدية إلى معانٍ جديدة فضلاً عن معناها الذي تؤديه بأصولها الثلاثة[٨].

وقد أيّد الدكتور المخزوميّ رأي الخليل (ت١٧٥هـ) ببعض الحروف من حيث كونها أصلية أو مدغمة وقد شارك الخليل بأنَّ (لن) أداة نفي مختصة بفعل وتدلّ على النفي المؤكد وهي مركبة، لا مفردة وأصلها (لا أن) لكنهم حذفوا لكثرتها في كلامهم[٩].

فمذهب البصريين يقوم على القياس إذ إنّهم استقرؤوا ما ورد من نصوص اللغة فاتخذوا الشائع وزادت نسبه فجعلوه مقياسا أسسوا عليه القاعدة واستنبطوا منه الصحيح المقبول وهذه الطريقة العلمية في تقعيد القواعد واستخراج مسائل اللغة كانت مفيدة في جمعهم الا أنَّ ما يؤخذ عليهم أنّهم لم يحددوا نسبة المقيس عليه تحديداً دقيقا فوجد الاختلاف عندهم[١٠].

أمّا الكوفيون فإنّهم أسسوا القياس لكل ماروي عن العرب مهما قلت شواهده لذلك نجد بعض الاضطراب والفوضى في تقعيدهم القواعد وتنظيم مسائل اللغة[١١]

وفي قراءاتنا نجد أفكاراً أكثر سلاسةً في آراء المدرسة الكوفية خلت

من التعقيد والصعوبة وهذا ما تبناه أستاذنا المخزومي الذي كان ينتصر للرأي الصائب غاية منه في تسهيل الدرس النحوي وهو من سار خلف الخليل دارسا أفكاره ومتبنيا آراءه فلا نستطيع أنْ نجعل من يسّر كوفياً ولا بصرياً لكنه استطاع أنْ ينتصر للغته غاية في إبعاد الصعب عنها ملتمساً تذليل صعوباتها.

ولعل رأي الدكتور مهدي المخزومي في الجملة وتعريفه إيّاها بأنَّها (الصورة اللفظيّة الصغرى للكلام المفيد في أيَّة لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أنَّ صورة ذهنية كانت قد تآلفت أجزاؤها في ذهنه ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع)[١٢].

فالجملة عند الدكتور المخزومي أساس التعبير، والصورة اللفظيّة الصغرى التي تنطوي داخلها الأفكار التي تصدر عن نفس المتكلم لتصل إلى مخاطب ينتظر الخبر وهي خاضعة لمناسبات القول ويجب أنْ تكون هناك علاقة بين المتكلم والمخاطب،إذ لا يتمّ التفاهم في أيَّة لغة إلاَّ إذا انتبهنا لتلك المناسبات، ويجب الأخذ بالعلاقة بينها وبين أصحابها فالكلام لا يكون مفيداً ولا الخبر مؤدياً غرضه مالم يكن حال المخاطب ملحوظاً ليقع الكلام في نفس المخاطب موقعاً القبول والاكتفاء، ولأجل هذا نجد أنَّ علماء المعاني قد أسهبوا في بيان مقتضى الحال وظاهر الحال وذلك لبيان ما للكلام من ظروف قوليّة تتحكم فيما يصدر عن المتكلم من كلام ينقل فيه أفكاره إلى السامع وهذه المناسبة القوليّة والعلاقات بين المتكلمين والمخاطبين جديدة في الدرس النحوي إذ تعد الأساس الذي يبنى عليه تأليف الجملة أو الكلام ضمن أساليب مراعٍ فيها مطابقة الكلام لمتطلبات هذه المناسبات والعلاقات[١٣].

ويظهر لنا أنّ المخزومي كان له رأيٌ في توحيد دراستي النحو والمعاني من دون النظر إلى المصطلحات والتعبيرات كالصحيح والفصيح وما قصده بعضهم بالصحيح ما كان صحيحاً

نحوياً والفصيح ما زاد على صحته نحوياً من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أو مطابقته لمناسبات القول[١٤].

وهذا ما أوضحه الدكتور مهديّ المخزومي في قوله: (والذي أزعمه هو أنّ الجملة الصحيحة لغوياً ونحوياً هي الجملة الفصيحة عند أهل المعاني، لا فرق بين هذي وتلك؛ لأنَّ الشّرط الذي أخذ به في فصاحة الجملة شرط يؤخذ به في صحتها، فإذا كانت الجملة مؤلفة من كلمات صحيحة مستوفية لكلّ ما يتطلبه (الصرف)، وإذا كانت الكلمات مؤلفة من أصوات مؤتلفة خلوٍ من كلِّ ما يسيء إلى فصاحتها، من تنافر بين الأصوات، مما قرَّر في دراسة الأوائل للأصوات اللغويَّة شرطاً لا بُدَّ منه لصحة الكلمة بقيت الجملة مع ذلك تفتقر إلى أهم مقومات الصحة، وهو مطابقتها متطلبات المناسبات ومقتضيات الأحوال. ولن تكون الجملة صحيحة إذا لم يراعَ ذلك فيها، فالدراسة إذن واحدة، والموضوع واحد)[١٥].

إنَّ توحيد دراسة النحو مصاحباً لعلم المعاني هو ما يخرج بالنحو من تلك التعليلات والتفسيرات وتسهيل ماعلق بها من صعوبات تيسر لطالب العلم الخوض في العربية من دون خوف أو وجل.

إنَّ الأخذ برأي المدرسة البصريَّة أو الكوفيَّة هو السليم إنْ كان الرأي مناسباً للتخلُّص من كلِّ تعليل ورأي فلسفي يعقم اللغة ويبعدها عن جادة الصواب ومنطلقنا هنا مقياس تحقيق الأداء الصوتي، إذْ يكمن في الطاقة الصوتية للمفردة الواحدة، وغالبا ما نجده منحصراً في السياق النظميّ،وتحكمها هنا علاقة صوتية دلاليّة بيئية، كما نجد أنَّ التجاور الإفرادي والتركيبي حسناً صوتياً جلياً مؤلفاً ائتلافاً لوحداته الصوتية القاعديّة، ومن ذلك يكون ملفوظنا الصوتي أداءً، ويكون الأداء الكلامي قاعدة إرسال صوتي فكري لغويّ، ذي انفعال ينطلق من المرسل باتجاه المستقبل يكون له خلفيات ومرتكزات يقوم عليها[١٦].

إنَّ ما دعا اليه الدكتور مهدي

المخزومي يعدّ رداً على إقبال النحاة على الدراسات الفلسفية والمنطقية التي اتخذوها سنداً وحججاً لآرائهم، ممَّا أبعدهم عن الأسلوب الأمثل لدراسة اللغة،فأصبح النحو العربيّ ضرباً من ضروب الفلسفة والمنطق والتي اعتمد عليها النحاة وأخصّ البصريين الذين جاؤوا بعد الخليل مع نزر قليل من الكوفيين، فالخليل لم يعتمد على تلك الأساليب الفلسفية والمنطقية والجدلية لإثبات القواعد النحوية كما رأينا، ومن جاء بعده قد سلك مسلك المتكلمين في الاعتداد بالعقل،حتى سُمّوا بـ (نحاة المنطق) وقد ظهر القياس وهو أحد أصول النحو العربي واضحا مع شدة وإيغال النحاة فكان تأثيره سلبياً على الدرس النحوي[١٧].

إنَّ ما جاء به الخليل كان منهجاً نحوياً مبدعاً يناسبُ ذوقَ العربي الذي نطقَ على سجيتهِ بمجموعةٍ من العادات الكلاميَّة التي مارسها وتعود عليها وكانت نتاجَ فكرهِ الثرّ للغةٍ قاومت الزّمن والتغير فكانت الأصلُ لما توصل له العلم الحديث من نتاج علميّ دقيق، ولعلّ إعجاب أستاذنا الدكتور مهديّ المخزومي بالخليل بن أحمد الفراهيدي جعلهُ يردِّد أفكاره فكان المدافع عنهُ في إبعادِ صفة التعقيد والتأويل والفلسفة عن آرائه اللغوية. فنراهُ تارةً يركزُ على ما أتت فيه القريحة الكوفية وهذا لا يعني ابتعاده عن نحو الخليل رائد مدرسة البصرة.

الهوامش:

١- ينظر جهود مهدي المخزومي في تحديد الاعراب (دراسة تحليلية وصفية)، محمد خير الامم: ٢٦ قسم اللغة العربية/ كلية العلوم الانسانية/ جامعة مولانا ابراهيم الانسانية، ٢٠١٩ (بحث)

٢- ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي: ١١

٣- في النحو العربي نقد وتوجيه: ٨

٤- ينظر من اسرار اللغة. د.ابراهيم انيس:٢٤٣

٥- ينظر الايضاح في علل النحو لابي القاسم الزجاجي: ٦٥ - ٦٦

٦- ينظر في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، د. مهدي المخزومي:٤

٧- ينظر في النحو العربي نقدٌ وتوجيه: ٢٣٣

٨- ينظر في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث:١٣

٩- ينظر في النحو العربي نقدٌ وتوجيه: ٢٥٦

١٠- ينظر من اسرار اللغة: ١٢

١١- ينظر المصدر نفسه: ١٣

١٢- في النحو العربي نقد وتوجيه: ٣١

١٣- ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٢٥ ٢٢٦

١٤- ينظر اساليب التعبير في علم المعاني عند الدكتور مهدي المخزومي (بحث) جامعة أهل البيت Abu.edu.iq

١٥- في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٢٦

١٦- ينظر السمات الصوتية بين الأداء والارسال دراسة تطبيقية في سر الفصاحة(عبلة برياح) رسالة ماجستير الجمهورية الجزائرية /كلية الاداب واللغات والفنون/قسم اللغة العربية ٢٠٠٧

١٧- اختلاف النحاة ثماره وآثاره في الدرس النحوي(رسالة ماجستير)عبد النبي محمد مصطفى ٣٦٥ جمهورية السودان جامعة ام درمان الاسلامية-كلية اللغة العربية قسم النحو والصرف واللغويات ٢٠٠٩-٢٠١٠

المصادر

١- اختلاف النحاة ثماره وآثاره في الدرس النحوي(رسالة ماجستير)عبد النبي محمد مصطفى جمهورية السودان جامعة أم درمان الإسلامية-كلية اللغة العربية قسم النحو والصرف واللغويات ٢٠٠٩-٢٠١٠.

٢- أساليب التعبير في علم المعاني عند الدكتور مهدي المخزومي (بحث) جامعة أهل البيت Abu.edu.iq

٣- الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، ط٣ - ١٩٧٩م.

٤- جهود مهدي المخزومي في تحديد الإعراب (دراسة تحليلية وصفية)،

محمد خير الأمم، قسم اللغة العربية/ كلية العلوم الإنسانية/ جامعة مولانا إبراهيم الإنسانية، ٢٠١٩ (بحث).

٥- السمات الصوتية بين الأداء والإرسال دراسة تطبيقية في سر الفصاحة (عبلة برياح) رسالة ماجستير الجمهورية الجزائرية /كلية الآداب واللغات والفنون/قسم اللغة العربية ٢٠٠٧.

٦- في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، د. مهدي المخزومي، مكتبة لسان العرب، ط٣ - ١٩٨٥م.

٧- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي - بيروت / لبنان - ط٢ - ١٩٨٦.

٨- من أسرار اللغة - د.إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة - ط٣ -١٩٦٦.

نافذة على كتاب
(الدرس النحويّ في بغداد)
للمرحوم الدكتور مهدي المخزومي
(رحمه الله تعالى)

م.د حَسَنُ كَاظِم حُسَيْن الزُهيريِّ / المديرية العامة لتربية بابل

ملخص البحث:

هل هناك مذهبٌ بغداديّ يقف بإزاء مذهب أهل البصرة والكوفة؟ علامَ بنى المحدثون المعاصرون من النحاة رأيهم الّذي ذهبوا إليه وهو تصنيف المذاهب إلى خمسة مذاهب؟ مَنْ أوقع المحدثين والمعاصرين في هذا الوهم؟ بمَ اتَّسم الدّرس النحويّ في بغداد؟ وما المراحل الّتي بها مرَّت دراسة العربيَّة؟ منْ بدأ دراسة النحو العربي؟ هلْ جاء كتاب (ضحى الإسلام) بجديد أم كانت تجربته لاتعدو أن تكون ترجمة لما قام به المستشرقون الّذين سبقوا في دراسة النحو العربيّ؟ هلْ كان ما نشره الدكتور شوقي ضيف في كتاب (الرّد على النحاة) الذي قدّم له، هلْ كانت هذه المقدِّمة دعوةً منه لإحياء النحو وتخليصه من أوضار الفلسفة والمنطق أم غمز صاحب كتاب (إحياء النحو)؟ وما الفرق بين ما جاء به ابن مضَّاء القرطبي والمرحوم مصطفى جواد؟ هل كان الرأي الّذي اتّخذه الدكتور شوقي ضيف في كتابه (المدارس النحويّة) رأيًا مبنيًا على أسس البحث العلميّ الرّصين أم كان رأيه مُخلَّطًا شبيهًا برأي المُستشرق (فايل)؟ هذه الأسئلة وغيرها هي ما يدور حوله كتاب (الدّرس النحويّ في بغداد) لشيخنا المرحوم الدكتور مهدي المخزوميّ الّذي صدر عن وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد عام ١٩٧٥م، وهو مؤلف من خمسة عشر بحثًا،وقد جاء هذا البحث لعرض أهم آراء الدارسين في وجود مدارس نحويّة، وما ردّ به شيخنا الدكتور مهدي المخزومي – رحمه الله تعالى – على هذه الآراء.

الكلمات المفتاحية: النحو البغداديّ، النحو الكوفيّ، النحو البصريّ، المستشرقون.

يتكوّن هذا الكتاب من مقدِّمة، ثمَّ تمهيد، و دراسات معمّقة لإظهار الحقيقة العلميّة لما يسمّى بالمدارس النحويّة الخمس، وما أطلقه بعض المستشرقين، وسار على نهجهم بلا تمحيص أو تحقيق بعض الدارسين العرب من وجود مدارس مثل البغداديّة

والمصريّة والأندلسيّة

في المُقدِّمة يذكر شيخنا المخزومي – رحمه الله - الوهم الذي وقع فيه النحاة في القرن الرابع الهجري، ومن بعدهم النحاة المتأخرون ((في تصوير مذهب ثالث يقف بإزاء مذهب أهل البصرة ومذهب أهل الكوفة ؛ وهو مذهب البغداديين))[١]. وذهب هذا المذهب المحدثون والمعاصرون من النحاة، بل بالغ البعض منهم فصنَّف المذاهب إلى خمسة مذاهب وزعموا أنَّ هناك مذهباً أندلسياً وآخر مصرياً[٢]. ويوضِّح شيخنا سبب هذا الوهم ويرجعه إلى أنَّ (فلوكل) مُحقِّق كتاب (الفهرست) لابن النديم هو الذي أوقع المحدثين والمعاصرين في هذا الوهم، فهو قد نشر بحثًا عن المدارس النحوية، وهذا البحث أشار إليه (بروكلمان) في كتابه (تاريخ الأدب العربي)، وكذلك أشار إليه كوتولد فايل في مقدمة كتاب (الإنصاف) وعنوان البحث يدلُّ على تعدد المدارس، وذهاب أكثر الباحثين المعاصرين إلى كتب المستشرقين يصدرون منها أوقعهم بهذا الوهم[٣]. ويضيف شيخنا – رحمه الله - إلى أنَّ اسم الكوفيين لم يعرف إلاَّ في القرن الرابع وأنَّ هذا الاسم – الكوفية – اخترعه البغداديون الذين أخذوا بمذهب البصريين وسمُّوا أنفسهم بالبصريين تمييزًا لأنفسهم عن مُخالفيهم من البغداديين. أمَّا بالنسبة للكسائي والفراء وثعلب وأصحابهم فهم لم يسَّمُوا أنفسهم بهذا الاسم، ولم يسمهم البصريون بهذا الاسم ويعود السبب في ذلك ؛ لأنَّ الكوفة لم تعرف درسًا نحويًا مُستقلًا يقف بإزاء الدرس البصريّ، وإنّما المِصْر الذي ينافس البصرة بغداد ؛ وهو الدرس الذي رُسمت فيه حدود الدرس النحويّ الجديد وهو الدرس الذي سُميّ فيما بعد وفي غضون القرن الرابع بالدرس الكوفي، وهذا يعني أنَّ التسمية واحدة وهذا ما يُشير إليه (ابن جني) في كتابه الخصائص فقد كان يورد اسم البغداديين والكوفيين، ولم يرد بهما جماعتين مختلفتين[٤]

وبعد التمهيد يبدأ بالحديث

عن رأس المدرسة (الكسائي ت ١٨٩ هـ) الذي نشأ في الكوفة وتعلَّم مبادئ العربيّة على الرواسي، ومعاذ الهراء، وأخذ القراءة عن حمزة بن حبيب الزيَّات، ويبيِّن أنَّ انصراف الكسائي إلى الدرس النحوي والرِّواية اللغويَّة بعد رحلته ثمَّ مقامه في بغداد قد كان له أثرٌ واضح في شيوع مذهب جديد نحويّ في بغداد ؛ والسبب في ذلك أنَّه قد شرع يرسي قواعد النحو على أسس جديدة اشتقها من ثقافته القرآنيّة، ويرى شيخنا – رحمه الله - أنَّ لسلوك الكسائي في دراسة النحو على غرار ما جرى عليه في دراسة القرآن وتحمّل القراءة أنْ اتّخذ النحو الجديد يتّجه اتِّجاهاً بدأ يبعد عن الاتجاه البصري قليلًا في أعمال الكسائي، وأصبح اتجاهاً متميِّزاً بأصوله وبطبيعة قواعده وبمصطلحاته وأنْ يكون عملاً تاماً وكلّ هذا بفضل الفرَّاء[٥]. ويذكر شيخنا المخزومي – رحمه الله - أنَّ التحوّل الفاصل بين المنهجين النحويينِ كان لأسباب منها:

الأوّل: كان بسبب المسألة النحويَّة المشهورة: ((قد كنت أظنُّ أنَّ العقرب أشدّ لسعةً من الزنبور، فإذا هو هي أو: فإذا هو إيّاها))[٦] .

والثاني: يرجع إلى اختلاف الرّجلين في المنشأ والثقافة الذي أثَّر في اختلاف مذهبيهما في النَّظر إلى موضوعات الدرس وتفسيرها وتخريجها، وأدى هذا إلى أنْ أخذ فريقٌ منهم بمذهب سيبويه وأخذ الفريق الآخر بمذهب الكسائي وتعصَّب كلُّ فريقٍ لمذهبه.

والثالث: عناية الكسائي بالقرآن، واعتداده بالقراءات منطلقًا للآراء التي صدرت عنه مُخالفًا فيها البصريين الذين أرجعوا القراءات إلى النحو وحكموا مواضعهم فيها[٧] . ويجمل شيخنا – رحمه الله - الآراء التي خالف فيها الكسائي البصريين صادراً فيها عن اعتداده بالقراءات والتي يجملها بـ[٨]:

١ – يجوَّز في السِّعة حذف النون من المثنى فيجوز عنده: قام الزيدا بدون نون معتمدًا في تجويزه هذا قراءة بعضهم ((غير معجزي الله)) (التوبة:٣) بالنصب ((الله)).

٢ – رأيه أن يكون من معاني ((لعلَّ): التعليل، صدورًا عن فهمه قوله تعالى: ((لعلَّه يتذكَّر أو يخشى)).(طه -٤٤). أي: ليتذكَّر.

٣ – رأيه يجوز توسّط (إلاَّ) بين الفعل ومعموله احتجاجًا بقوله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ * فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) (النحل:٤٣ -٤٤).

فقد توسّطت (إلَّا) بين (أرسلنا) وما تعلق بها، وهو قوله تعالى: ((بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ)).

٣ – ذهابه إلى جواز زيادة (من) في الإيجاب احتجاجًا بقوله تعالى: ((يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)). (الأحقاف: ٣١).

٤ – رأيه في جواز حذف الفاعل إذا دلَّ عليه دليل من سياق القول احتجاجًا بقوله تعالى ((أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يتيمًا ذا مقربة)). (البلد: ١٤). فيتيمًا مفعول المصدر وفاعل المصدر محذوف وقد تابعه ابن مضاء القُرطبي في جواز حذف الفاعل.

٤ – إجازته حذف المضاف إليه وإبقاء المضاف غير منون احتجاجًا بما حكاه العرب من قولهم: (أفوقَ تنامَ أم أسفلَ بالنّصب على تقدير: (أفوقَ تنام أم أسفله).

٥ – ذهابه إلى أنَّ الفعل في مثل قولهم: لألزمنَّك أو تقضيني حقِّي، منصوب بـ (أو) نفسها، لا بـ (أنْ) المُضمرة بعد (أو) كما يقول البصريون.

٦ – ذهابه إلى أنَّ (يفعل)، إنَّما يرتفع بحروف أنيتُ.

ويقرِّر شيخنا المخزومي – رحمه الله - أنَّ الخلاف بين الكسائي والبصريين خلافٌ لابُدَّ منه ؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أنَّه انعكاس للخلاف في الأسس المذهبيَّة[٩] .

وفي حديثه عن الفرَّاء (ت ٢٠٧ هـ) يوازن شيخنا المخزومي – رحمه الله - بين سيبويه والفرَّاء، ويرى أنَّ الفرَّاء تجاوز الحدّ الذي وقف عنده

سيبويه إلى حد أبعد كان فيه مُبتكرًا وموجِّهًا، وصاحب رأيٍ واجتهاد ويرجع السبب في ذلك إلى الموارد الضخمة من القراءات والمسموعات، وكان له مادة خصبة لدرس نحوي خصب، ويذكر أنَّ اختلاف أصول الدرس، وتفاوت المنهج الذي سلكه البصريون ؛ أدَّى إلى اختلاف النتائج، فإذا بالقواعد الجديدة تتفاوت مع القواعد البصريّة القديمة، وإذا بالنحو في بغداد يعيد النظر في المنهج والأصول والمناهج، فلم يعدّ القياس عنده ما كان له عند البصريين من مكانة في الدّرس، ولم يعدّ للعامل عنده اعتبار، وغاب مفهوم المصطلحات البصرية التي تقوم على أساس الاعتبارات العقليّة، وتمَّ إعادة النّظر في تقسيم الكلمة في مدرسة النحو البغداديّ فهي: فعل واسم وأداة، وقسِّمَ الفعل إلى: ماضٍ، ومستقبلٍ، ودائمٍ، وزال سلطان العامل الذي كان في النحو البصري، فالفاعل عند الكوفيين البغداديين قد يتقدَّم على فعله ويبقى فاعلًا، والفاعل قد يتأخر عن فعلين ويكون فاعلًا للفعلين جميعًا في نحو قولهم: أكلَ وشرِبَ خالدُ، والمبتدأ والخبر مترافعان إذا كان الخبر هو المبتدأ، ولم يبالوا بما أخذ البصريون به أنفسهم من منح العامل ما للعلة من قوّة[١٠] .

أمَّا فيما يتعلّق بالمصطلحات، فقد أعاد الفرّاء النظر فيها، فتوصَّل إلى مصطلحات أخرى بإزائها والسبب في ذلك لأنَّه رآها أوضح دلالة على المقصود وأقرب إلى طبيعة الدرس ومنها:

النسق بإزاء العطف بالحرف.

وكالصلة (صلة الموصول) بإزاء الحشو.

وكالعماد بإزاء ضمير الفصل.

وكالجحد بإزاء النفي. والإقرار بإزاء الاثبات.

وكالتبيين بإزاء البدل.

وكالأداة بإزاء الحرف.

والمحل بإزاء الظرف.

والمكنى بإزاء الضمير.

ويجري ولا يجري بإزاء ينصرف ولا ينصرف، أي: ينون ولا ينون، والمردود بإزاء المعطوف.

والخلاف، والصرف، والتقريب،

وهذه لا يوجد ما يقابلها عند البصريين[١١].

ونجد شيخنا – رحمه الله - يعرض لبعض آراء الفرّاء التي احتلّت مكانة في أذهان الدارسين، وتردّد على ألسنتهم وشاع حتّى في الدرس البصري ومن هذه الآراء:

١ – رأيه في رفع (يفعل) بأنَّه يرفع من الناصب والجازم، وهذا ما ردّده اتباع البصريين في تعليل رفع (يفعل).

٢ – له آراء بارزة في النحو البغداديّ الكوفيّ منها: النصب على الخلاف، أو على الصرف وفي حديثه عن خصائص المذهب البغدادي يشرع المرحوم المخزومي ببيان خصائص المذهب البصري، ثمَّ يلخّص خصائص المذهب الكوفي بما يأتي[١٢] :

١ – إنَّهم كانوا يعتدُّون بالسّماع والنقل.

٢ – لهم موقفهم الخاص من القراءات، إذ يجعلونها مصدرًا مهمًا من مصادر علمهم، فهم لا يرفضون قراءة صحّ سندها ولا يطعنون على قارئ ولا يرمونه بالجهل إذا كانت تخالف الأصول الموضوعة. ثمّ يذكر السبب في ذلك في قوله:

١- إنَّ البغداديَّين الكسائي والفرَّاء كانا قد نشآ في الكوفة، وكان فيها موطن القراءات وكان فيها عدد كبير من القرّاء منهم: عاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيّات، وعلي بن حمزة الكسائي وأنَّ الكوفة كانت مهبط الصحابة ومنزل التابعين[١٣].

٢- إنَّهما كانا من القرّاء[١٤].

ثمَّ يُقرِّر إلى أنَّ الذي دفع الكسائي وتلاميذه إلى الأخذ برواية السّماع هو إيمانهم به، وأنَّه السبيل إلى الدّرس النحوي، ويذهب المخزومي – رحمه الله - إلى أنَّ هذه المسموعات التي سميت بالمفاريد، أو بأخبار الآحاد إنَّما تمثّل بيئات لغويّة حيَّة أغفلها تشدّد النحاة وتقدّهم وجهلهم طبيعة هذا الدرس، ويُرجع السبب في ذلك إلى أنَّ النحاة قيّدوا أنفسهم بأصول استنبطوا من حدود ما سَمعوا وعدّوا ما يتعارض معها من المفاريد مُخالفًا للقياس، فإذا كان الراوية موثوقًا بفصاحته قبلوا

روايته على أنْ تكون من الشّواذ التي تُحفظ ولا يقاس عليها، وإنْ لم يكن معروفًا لديهم ردوه أو حملوه على اللحن والخطأ، ومن هنا فهو يرى مدى تعسّف البصريين في اعتبار الأصول التي أخذوها عن السلف وجعلوها أصولًا للعربية بلغاتها المختلفة، ويقابل هذا إنَّ البغداديين يثقون بفصاحة الروايات المنفردة ؛ لأنَّ السّماع عندهم ذو شأنٍ عظيمٍ لا يتردّدون في قبوله، ولا في تعديل الأصول من أجله[١٥].

ويجمل المخزومي السّمات التي اتّسم بها الدّرس النحوي في بغداد بما يأتي:

١- التحرّر من تحكيم العقل في الدرس النحوي.

٢- التجديد في أسلوب الدّرس وذلك برفضهم التعليلات التي لا صلةَ لها بالدرس.

٣- تغليب النقل على القياس مع تحكيم الاعتبارات اللغويّة في أصول الدرس وقواعده الموضوعيّة[١٦].

وبعد أن يقف على سمات المذهب البغدادي وسمات المذهب البصري، يقرّر شيخنا – رحمه الله - أنَّ الدارسين المحدثين راحوا يعيدون النظر في نحو العربية بحيث يتلاءم مع حال اللغة العربية في العصر الحديث عندما وجدوا أنَّ النحو الذي ورثوه لم يعد يلائم الدرس الحديث لا منهجًا ولا موضوعًا[١٧]. ثمَّ يذكر المراحل التي مرَّت بها دراسة العربيّة وهي:

١- المرحلة الأولى وقفت على إحياء آثار السلف الذي كان من اللغة الحيّة على كثبٍ فنُشرت أمات الكتب التي تعدّ أصول هذا الدرس.

٢- المرحلة الثانية شملت تصنيف الكتب والرّسائل الجامعية التي تناولت بالدرس أحد شيوخ النحو الأوائل، والمذهب الذي ذهب إليه، أو المنهج الذي اتّخذه، أو تتناول بالدرس مذهبًا نحويًّا بعينه كمذهب الكوفيين البغداديين.

٣- وتضمنت المرحلة الثالثة نقد النحو القديم والدعوة إلى إحيائه أو تجديده ليتلاءم مع متطلبات الدرس النحوي الحديث.

ويبيّن لنا أنَّ المستشرقين هم البادئون في دراسة النحو العربي، فقد درس (فولكل) كتاب فهرست ابن النّديم، وقدّم له ونشره، ثمّ نشر بحثًا في المدارس النحويّة التي استخلصها من تصنيف ابن النديم

ودرس (كوتولدفايل) كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف "، ثمَّ (بروكلمان) الذي وقف على أعمال غيره من المستشرقين فصنّف كتابه الكبير (" تاريخ الأدب العربي "، ثمّ (يوهان فك) في كتابه (العربية).

ثمَّ تبعهم بعض الدارسين الذين كتبوا عن النحو، ولكن لم يأتوا بجديد بل كانت تجاربهم لا تعدو أنْ تكون ترجمة لما جاء عند أولئك المستشرقين كما فعل صاحب كتاب (ضحى الإسلام).

ثمَّ هيّأ لبعض الدارسين للدعوة إلى إحياء النحو وتخليصه من الشوائب، وكان أوَّل هذه الأصوات التي دعت إلى إعادة النظر فيما آل إليه الدرس النحوي من مآل مخيف يُهدِّد هذا النحو بالجمود بل بالاضمحلال... هو صوت المرحوم مصطفى جواد في كتابه (إحياء النحو).

ويلفت شيخنا المخزومي – رحمه الله - انتباه الدارسين ويحذِّرهم إلى أنَّ ما قام به (شوقي ضيف) الذي نشر كتاب ابن مضاء (القرطبي الرّد على النحاة)، والذي قدَّم له بمقدِّمة ظاهرها الدعوة إلى إحياء النحو وتخليصه من أوضار الفلسفة والمنطق التي علقت بهذا الدرس، ومرماها البعيد غمز صاحب (إحياء النحو) وتوجيه الدارسين إلى أنَّ ما جاء في (إحياء النحو) إنَّما هو اقتباس ليس فيه أصالةٌ ولا جدّة.

وجاء ردَّ المخزومي – رحمه الله - الذي يفنِّد ويخطِّئ ماجا به شوقي ضيف الذي لم يكن على صواب حين وازن بين ماجاء به المرحوم مصطفى جواد مع ما جاء به ابن مضاء القرطبي مدعومًا بالأدلّة وهي أنَّ ابن مضاء حين نادى بإلغاء التعليلات والتأويلات والتقديرات في النحو، لم يتجاوز الحدود التي رسمها الكسائي والفرّاء وثعلب

من البغداديين، وكان قد حمل على البصريين من خلال معاصريه الذين كانوا يتعصبون للبصريين على الكوفيين. ويؤكّد المخزومي أنَّ ما ينسف هذه الموازنة بين الرّجلين أن نعرف أنَّ ابن مضاء كان هدفه الهدم في حين أنّ مصطفى جواد تبنَّى رسم خطّة قويمة للبناء[١٨].

وقف المخزومي عند (كوتولدفايل) الذي شكّك في مقدمته لكتاب الإنصاف في وجود مذهب مكتمل يقف بإزاء مذهب البصريين، بل ذهب إلى أنَّ الكوفيين لم يؤسسوا مدرسة نحوية خاصة ويرجع ذلك إلى سببين وهما: الأوَّل: أخذ الرجل بالضجّة التي أحدثها انتصار المذهب البصريّ لانتشاره في أكثر المصنفات النحويّة وعلى أذهان أكثر الدارسين، وبسبب كتاب (الإنصاف) في عرض وجهات النظر المُختلفة.

الآخر: عدم إلمامه بآراء الكوفيين وأعلامهم ؛ لأنَّه لم يقف على مصنفات الكوفيين.

ويضيف المخزومي -رحمه الله - إلى أنَّ (فايل) لم يقف على كتب الفرّاء ولم يسمع إلاَّ بأسمائها ككتاب (الحدود، وكتاب معاني القرآن)، السبب الذي جعله يذهب إلى أنَّ علم النحو بصريّ برمته. ومن الآراء التي عرضها المخزومي لفايل هي:

- إنَّ أهم ما يتّسم به النحو الكوفي سلوكه منهجًا خالف كثيرا من الآراء البصريّة.

- يرى فايل أنَّ للفرّاء تأثيراً خاصًا في مدرسة الكوفة[١٩].

ويردّ المخزومي على كلام (فايل) بقوله:

استند (فايل) في مقالته إلى الاتفاق في الرأي بين يونس والكوفيين في خمس مسائل وهذه لا تكاد تذكر إلى جانب المسائل التي تضمنها كتاب الانصاف[٢٠]

استند (فايل) في استنتاجه أنَّ يونس مؤسس مدرسة الكوفة كما جاء في (بغية الوعاة) من قوله: ((وأخذ الفرّاء عن يونس وأهل الكوفة يدعون

أنَّه استكثر عنه))، ويعلِّل المخزومي إنَّ اشتداد المنافسة بين تلاميذ ثعلب والمبرّد وغلبة تلاميذ المبرّد وسيطرتهم على التعليم في مجالس الدرس وفي المدارس التي أُسست كالنظامية هي التي حملت الدّارسين على اطّراح كتب الكوفيين، وعم تداولها وعدم تدارسها ولم تعرف هذه الكتب إلاَّ في الثلاثينيات من القرن الماضي، فقد طبع كتاب (المجالس) لثعلب في سنة ١٩٤٨م، وكتاب (معاني القرآن ج١) سنة ١٩٥٦م والجزء الثاني من الكتاب في سنة ١٩٣٧م[٢١].

أمَّا موقف (بروكلمان) من مدرسة الكوفة فقد قرّر المرحوم المخزومي أنَّه كان متابعًا للقدماء لا محقّقًا ولا ناقدًا[٢٢].

أمَّا شوقي ضيف في كتابه (المدارس النحويّة)، فقد تبنّى رأيًا مُخلّطًا شبيهاً لرأي (فايل) وقرّر المخزومي أنّه انطلّى عليه ما أنطلى على من سبقه، ويجوز عليه ما جاز على غيره من زيفٍ جرت به أقلام المُدّعين من النحاة المتعصبين على الدرس الكوفيّ البغدادي الذين تحاملوا على الكسائي والفرّاء وثعلب وأصحابهم وتلاميذهم ولهذا وصفه بأنَّه طارئ على الدرس النحوي، مُقحمًا نفسه في ميدان ليس له موضع قدمٍ فيه وهو بدا مناقضًا في تقويمه لمدرسة الكوفة النحويّة فهو لم يرَ في مدرسة الكوفة أصالةً ولم يعتدّ بمذهبها النحويّ الذي نافس البصريين، وخالف (فايل) في تأثير (يونس) في الكوفيين لاتفاقه معهم في بضع مسائل وهي لا تعدو أربعة آراء[٢٣].

أمَّا حديثه عن تلاميذ ثعلب والمبرّد فقد جعل المخزومي (رحمه الله) هذا الجيل ثلاث طوائف هي[٢٤]:

الأولى: جماعة لزموا ثعلبًا ومذهبه.

الثانية: جماعة لزموا المبرّد ومذهبه.

الثالثة: جماعة تختلف إلى ثعلب والمبرّد وتتلمذ لهما وتستكثر عنهما.

ويؤكد المخزومي (رحمه الله تعالى) الأساس الذي بنى عليه المحدثون فكرة المذهب البغدادي ويرجعه لأمرين[٢٥]:

أولهما: لم يكن ابن النديم ليعني بمن خلط المذهبين أنْ يكون له مذهب ثالث ليس بالبصري ولا الكوفي، ولو كان ذلك مما دار في خلده لكان الزَّجاج عنده في مقدمة الفريق الذي كان يخلط المذهبين.

ثانيهما: الأساس الذي بنى عليه المحدثون فكرة المذهب البغدادي هو التلمذة لثعلب والمبرّد، وليس بين تلاميذ الرجلين من أفاد منهما وتعمّق في مصنفاتهما ووقف على علم البصريين والكوفيين كأبي اسحاق الزّجاج، ومع ذلك لم يكن الزّجاج عندهم من أعلام البغداديين، وهذا يثبت تهافت الأساس الذي بنى المحدثون فكرتهم عليه الذي لم يلبث أنْ انهار.

ويضيف أنَّه لم ير أحدًا من الدارسين يعدّ الزّجاج في رجال المذهب البغدادي المزعوم غير الباحثة(هدى محمود قراعة) التي قدّمت لكتاب الزّجاج (ما ينصرف وما لاينصرف) ذكرت في هذه المقدّمة السريعة فكرة أنْ يكون الزّجاج مؤسّساً للمذهب البغدادي، وهي بهذا تخوض بما خاض به الدكتور الأنصاري والدكتور ضيف، وفهمت خطأً أنَّ جمع الآراء إلى الآراء يؤلّف مذهباً جديداً[٢٦] .

ويكشف المخزومي - رحمه الله تعالى - عدم توفيق الدكتور (شوقي ضيف) الذي ذهب إلى القول ببغداديّة الزّجاجي ووصفه كتاب (الإيضاح) الذي قال فيه: إنَّ من يقرأ الكتاب يرى الفلسفة والمنطق وعلم الكلام والفقه[٢٧] .

ويعرض الدكتور المخزومي - رحمه الله تعالى - ما أغفله الدكتور ضيف الذي قرَّر أنَّ يجعل ابن (كيسان) نموذجاً للدارسين البغداديين بعد تقوّله على من ترجم له، والحقيقة إنَّ الذي قاله المترجمون أنَّه خلط المذهبين؛ لأنّه أخذ عن الشيخين، بل إنّه زاد ولفق من عنده حينما قال: إنَّ ابن كيسان كان يختار من الآراء من كلّ واحدٍ منهما ما غلب على ظنّه صحته واطراد له قياسه، وترك التعصب لأحد الفريقين[٢٨] .

ويخرج الدكتور المخزومي

بخلاصة مفادها: أنّ ابن كيسان في نهجه وطريقة تفكيره وتناوله موضوعات النحو بالدرس لم يخرج عن حدود المذهب البصري[٢٩].

وفي حديثه عن (الدرس النحوي في القرن الرابع عشر) يؤكّد المرحوم الدكتور المخزومي أنَّ الدرس الكوفي في هذا القرن بقي حيًّا بأعمال دارسين أعلام، كان لهم الأثر الكبير في بقاء هذا الدرس أمثال ابن خالويه وابن فارس، ومنهم أدباء وشعراء مثل أبي الطيّب المتنبي، على الرّغم من أنّ الدرس البصريّ قد بسط نفوذه على بيئات الدرس في بغداد[٣٠].

ثمّ يوضّح لنا أنّ ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) كان نحويّاً على طريقة الكوفيين ؛ لاعتماده في النحو واللغة على تلاميذ ثعلب ولأنّه كان كثير الرّواية عن ثعلب وابن الأعرابي والفرّاء والكسائي؛ ولأنَّه كان يصطنع الأوضاع الخاصة بالكوفيين، كالنسق مكان العطف، وحروف الصّفة مكان حروف الجرّ[٣١].

أمَّا ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) فكان نحويّاً على طريقة الكوفيين وقد أخذ عن أبي بكر أحمد بن الحسين الخطيب راوية ثعلب، ويذكر المرحوم المخزومي إنَّنا عندما نتفحص كتبه: (المجمل، والمقاييس، ومتخيّر الألفاظ، والصاحبي في فقه اللغة)، وفي هذا الكتاب نجد أكثر من قرينة تدلّ على أنَّه كوفيّ المذهب[٣٢].

أمَّا أبو الطيّب المتنبي (ت ٣٥٤هـ)، فيذكر شيخنا المرحوم المخزومي أنَّ عباراته من شعره تقوم على أساس من النحو الكوفيّ، وقد ظهرت نزعته الكوفيّة في كثير من شعره وهذا ما ذكره ابن بعيش حين عرض لحذف حرف النّداء من اسم الإشارة، وقد عمل به المتنبي بقوله: « هذي برزتِ لنا فهجتِ رسيسا « وقوله متبعاً الكوفيين عندما فصل بين المصدر المضاف (سقيَ) وفاعله المضاف إليه (السّحائب) بالمفعول وهو (الرِّياض)، وهو ممّا أجازه الكوفيون في قوله:

حملتُ إليه من لساني حديقةً
سقاها الحِجا سقيَ الرِّياض السَّحائب

فيثبت شيخنا المخزومي - رحمه الله - بالأدلّة السّابقة أنَّ المذهب الكوفيّ كان حيّاً بأعلامه وتراثه على الرّغم من تغلّب المذهب البصريّ، وبسط نفوذه على مجالس الدّرس في بغداد، فقد ترك من خصائصه المذهبيّة في الدّرس البصريّ آثارًا عميقة لم يستطع المتعصبون للبصريّة أن يمحوها، وأيضاً لم يسلم الدّرس الكوفيّ من التأثر بالدرس البصريّ[٣٣].

أمَّا الأزهري (ت٣٧٠هـ)، فيذكر شيخنا المخزومي - رحمه الله - أنَّه أفاد من جهود من سبقه من علماء اللغة ورواتها، بالإضافة إلى مشافهته لبعض الفصحاء من الأعراب الذين لم تسلم لغتهم من اللحن، وكذلك أتاح له وقوعه في الأسر عند عرب عامتهم من هوازن... نشؤا في البادية... يتكلمون بطباعها البدويّة، وقرائحهم التي اعتادوها، ولا يكاد في منطقهم لحن، أو خطأ فاحش، وقد تلقّف الأزهري عنهم ألفاظًا جمّة ونوادر كثيرة[٣٤].

أمَّا أبو الفتح (عثمان بن جنّي ت٣٩٣ هـ) فيذكر شيخنا المخزومي - رحمه الله - أنّه أخذ من أبي عليّ الفارسيّ الذي كان يصحبه،كما أخذ عن كثير من رواة اللغة والأدب مثل ابن مِقسِم راوية ثعلب، وكان يسمع الأعراب الذين لم تفسد لغتهم كآل المهيّا، وبني عقيل ومنهم الشجري[٣٥].

وبعد هذا العرض يصف شيخنا المخزومي - رحمه الله - ما آل إليه الدرس النحوي بعد القرن الرابع، فقد أصبح تكراراً واجتراراً، وغُلِّقت الأبواب دون الإبداع والابتكار..وصار الدرس النحوي تجميعاً وتلفيقاً[٣٦].

ويضيف إلى أنّ من التّمحّل أن ينسب هذا الدارس إلى مدرسة بعينها، وذاك إلى مدرسة أخرى، ومن التقعّر أن يُنسِب أبو البركات الأنباري نفسه إلى البصريين، أو يسلك ابن الحاجب نفسه فيهم، أو يُعدّ ابن مالك في البغداديين أو فيمن خلطوا المذهبين، لأنَّ نحو هؤلاء ومن شاكلتهم إنَّما يمثل الشكل النحوي الذي لا ينطوي على مضمون، ويتضمن ذلك ما نظمه الكثير منهم

من كتب مختصرة مشتقة من كتب الأقدمين، وتسمّى بالمقدمات أو المتون، ثمّ يشرحونها ويوسعونها بالتعليلات والتأويلات والردود والمناقشات، كما فعل ابن الحاجب حينما ألَّف مقدّمة سمّاها بالكافية، ثمَّ شرحها، ثمَّ نظّم الكافية وسمّى منظومته بالوافية، ثمَّ شرح الوافية، وقد وصف شيخنا المرحوم المخزومي هذا العمل بأنّه يدور في حلقة مُفرّغة، وهو أُخذةٌ أو شعوذة. وهذا شبيه بما فعله ابن مالك الذي نظَّم النحو والصرف على مزدوج الرجز بما يقرب من ثلاثة آلاف بيت وسمّها بالخلاصة وهي معروفة بالألفية، ويضيف القول ؛ ((وهذا حال الدرس النحوي في المشرق في عصوره المتأخّرة يوم تولاه فقهاء أو أصوليون، أو مفسرون أو محدثون، أو قرّاء لم تكن لهم سابقة فيه ولم يملكوا حسّاً لغوياً، ولا فكراً نحوياً، ولا يعرف الدارس كيف صاروا نحاة ولا عمّن أخذوا النحو، ويبدو أنّ مصادرهم في النحو هي الكتب، فقد وقفوا على ما تيسّر لهم الوقوف عليه منها... ذلك أنَّا نستعرض شيوخ ابن الحاجب فلا نجد فيهم نحوياً، ونستعرض شيوخ ابن مالك فنقف على مزاعم وأقوال ينقض بعضها بعضا))[٣٧].

ويستدل على قوله ذلك بقول ابي حيّان الذي يقول: بحثتُ عن شيوخ ابن مالك، فلم أجد شيخاً مشهوراً يعتمد عليه، إلاّ ثابت بن حيان الذي كان من أئمّة المقرئين ولم يكن من أئمّة النحويين[٣٨].

أمَّا حال الدرس في المغرب والأندلس فيذكر شيخنا – رحمه الله – انَّ هناك اختلافاً بين الدرس في المشرق الذي انماز بطابع فلسفي واضح، وحفلت مصنفاته بالجدل المنطقي والتعليل الفلسفي، أمَّا الدارسون في المغرب والأندلس فقد نشؤا في بيئات ثقافيّة سلفيّة تُعنى بالنقل أكثر ممَّا تعنى بإحكام العقل، وهذا ماوجدناه في كتب أبي حيان والذين عاصروه أو احتذوه تعتمد في سعتها وكثرة مجلداتها على النقول من المصنّفات

المختلفة سواء البصريّة منها أم الكوفيّة، وكان هدفها الجمع فقط، وترمز به إلى الإحاطة بعلم الأوّلين، وجاء المحدثون فجاز عليهم هذا فراحوا يصنفونهم في مدارس بغير حساب[٣٩].

وفي حديثه عن (الدّرس النحوي في الآفاق) يذكر لنا الأقطار التي عُنيت بالدرس اللغوي والنحوي في العالم الإسلامي وهي: مصر والأندلس.

١- الدرس النحوي في مصر:

يذكر شيخنا – رحمه الله – أنَّه لم يكن لعلم العربيّة شأن في مصر، ولم يكن بمصر كبير شأن من كتب النحو واللغة، قبل الوليد بن محمد المصادري التميمي المعروف بولاد، وكان بها الدارسون يقرؤون القرآن ويُقرئونه وكانت المساجد العامة الجامعة هي مجالس الدرس الأوّل، وكان أصل (ولاد) بصريّ، نشأ في مصر، رحل إلى الخليل، وأخذ عنه، ثمّ عاد إلى مصر بعلم الخليل ومملياته والحكاية عنه، وهو الذي استرعى انتباههم بما أذاعه من علم الخليل، وحفّز المصريين إلى الرحلة إلى البصرة، وكان من تصدّر مجالس الدرس في مصر، وقرأ عليه الدارسون كتاب سيبويه، وكان له تأثيرٌ واضحٌ في مصر أحمد بن جعفر الدينوري (ت٢٨٩هـ) الذي ألّف كتاب (المُهذّب)، وممَّن أخذ عنه أبو الحسن بن ولاد، الذي لزِم المُبرّد ليقرأ عليه كتاب سيبويه، وينسخه على نسخة المبرّد، وبعد وفاته (٢٩٨هـ) انتقلت نسخة الكتاب إلى ابنه أبي القاسم بن ولاد، وبرز من أولاد بن ولاد ابنه أبو العباس بن ولّاد (ت ٣٣٢هـ) الذي جعله الزبيدي في الطبقة الثالثة، الذي لقي أبا اسحاق الزّجاج وأخذ عنه وعلى أبي اسحاق قرأ الكتاب واتقنه، وبعد رجوعه مصر تصدّر للتدريس والتصنيف، وكان قد نهج منهج البصريين في القياس والتعليل والافتراض[٤٠].

ويكشف شيخنا – رحمه الله – ما فعله الدكتور (شوقي ضيف) الذي جعل من هؤلاء النحاة في اتجاه المدرسة البغداديّة، كونهم يعنون باستيعاب آراء المدرستين، بل مضى

إلى أبعد من فقد راح يتمحّل الأسباب ويتكلّف القرائن لجعلهم رجال مدرسة جديدة هي المدرسة المصريّة، ووضعهم في اتجاه المدرسة البغداديّة، ولم يقدّم لإثبات هذا إلاّ مزاعم مرسلة وأحكام مطلقة[٤١].

ويردّ شيخنا – رحمه الله تعالى –على الدكتور شوقي ضيف الذي قسّم النحاة المصريين إلى ثلاثة أجيال:

١- جيل ولّاد وبنيه، وهذا الجيل كانت المدرسة البصريّة أساتذتها غالبًا وجهتهم في بغداد.

٢- جيل النحّاس ومن جاء من بعده، وكانت في بغداد ممثّلة بابن كيسان ومعاصريه.

٣- جيل النحاة المصريين المتأخرين، جيل الشرّاح وأصحاب الحواشي، مثل: ابن عقيل وابن الصائغ، والدماميني، والكافيجي، والسيوطي، والأزهري، والأشموني، والصبان، والخضري، وهو جيل الجمّاعين والملفقين الذين حشدوا في مصنفاتهم آراء النحاة الأولين من كلّ المذاهب.

يردّ شيخنا على الدكتور ضيف بقوله: ((ولم يبدُ على الدكتور ضيف أنَّه استطاع أنْ يرسم لهم نحواً له أصوله وأسسه المذهبيّة، فقد استعرض أسماءهم وكتبهم، ولم يُشر إلى ما ينتظمهم من أسس مذهبيّة معيّنة))[٤٢]. وهذا واضح في تصنيف الدكتور ضيف الذي جعل من الجيل الأوّل بصرياً، والثاني بغدادياً، والثالث اتجاه غير معروف، فكيف تنتظمهم مدرسة بعينها، وليس لهم خط مذهبي ولا طريقة يدرسون في ضوئها موضوعات النحو بالدرس، وهذا ما دعا شيخنا المخزومي – رحمه الله – أن ينعتها بالمحاولة الهازلة في عرض المدارس النحويّة، وهذا ما يُسيء إلى روعة البحث العلميّ[٤٣].

٢ – الدرس النحوي في الأندلس:

لقد دفع حرص أبناء الأندلس على القرآن وسلامة لغته والتجويد في تلاوته وضبطه أن يتجهوا بأبصارهم إلى المشرق لطلب المزيد من العلم، وهذا ما فعلته الطبقات الأولى من الدارسين الذين كانوا يرحلون إلى المشرق لتلقي

القراءة والحديث، فإن عادوا من رحلتهم تصدّروا مجالس الدرس، وبثوا ما كانوا قد تلقوه في رحلاتهم، وكان في مقدّمتهم أبو موسى الهواري،والغازي بن قيس(ت١٩٩هـ)، وكانت عنايتهم بالفقه والحديث والقراءة، وقد اعترض شيخنا المخزومي – رحمه الله – على من وضعهما في الطبقة الأولى من اللغويين والنحاة ؛ لأنّهما وإنْ لقي بعضهم أئمّة اللغة في البصرة، فلم يكن الدافع رغبةً في الدرس اللغوي، أو التخصّص فيه، ولكن الدافع هو الرّغبة في ضبط القراءات والحديث[٤٤].

ثمّ يستعرض لنا شيخنا – رحمه الله – مجموعة كبيرة ممّن نقلوا النحو إلى الأندلس، لينتهي بعد المطاف بنتيجة مفادها أنّ النحو في الأندلس ((سار هذه المسيرة الرتيبة، وتعاقب الدارسون وهم يتسمون بأنّهم ينزعون نزوعاً بصرياً واضحاً... حتى ليكاد النحو عندهم لا يتجاوز حدود ما رسمه المُبرّد والزّجاج والزّجاجي وأبو عليّ الفارسيّ... ولم يلاحظ فيما صنّفوا أو قالوا شيئاً جديداً يمكن أنْ يعُدّ إضافةً، فنحوهم إذا أردنا إلى إجمال القول فيه ليس فيه أصالة، ولا إبداع، كلُّ ما هنالك شروح لمؤلفات القدماء كالمقتضب، والجمل والإيضاح وغلو في التعليل))[٤٥].

وفي حديثه عن النحو البغدادي (الكوفي)، يذكر شيخنا المخزومي – رحمه الله - أنه انكمش ظلّه ؛ أي النحو الكوفي، بعد أن انبسط في الأندلس زمناً طويلاً، ولكنه لم يضمحل، وقد استطاع أن يثبت وجوده في أعلام من الدارسين، فظهر ينبض بقوّة في دعوة ابن مضاء القرطبي إلى إحياء هذا الدرس، ثمَّ يذكر أنَّه وقف عند ابن مضاء وبان لديه أمران هما:

الأوّل: وجد أنّ ابن مضاء نحويّ على مذهب الكوفيين،وأقواله وأمثلته التي عرضها تدلّ على ذلك.

الآخر: ربّما اتخذ الدارسون المحدثون من دعوة ابن مضاء أساساً بنوا عليه زعمهم أنّ مذهباً نحوياً جديداً نشأ في الأندلس لم يكن للدارسين عهدٌ بمثله، ويخرج شيخنا بنتيجة بعد أجرى موازنة

بين المذهب الكوفي وبين ما ذهب إليه ابن مضاء مفادها: أنَّ ابن مضاء لم يجرّد دعوته هذه ليذيع في الدارسين مذهباً نحوياً جديداً، ولكنّه فعل ذلك انتصاراً لمذهبه الكوفيّ الذي لم يجهر بالدعوة إليه[٤٦] ، ويرجع شيخنا - رحمه الله - السبب ؛ لأنّ النحو الكوفيّ كان قد عُرف في بيئات الدّرس الأندلسيّة قبل أن يُعرف الدرس البصريّ فيها، وما دعا إليه ابن مضاء إلى إبطال القياس، وإلغاء العلّل الثواني والثوالث، وإلغاء التقديرات، فذلك لأنَّ النهج الكوفي قد لقِيَ قبولاً عنده وصادف هوى في نفسه، وجاء اتّفاقاً مع مذهبه الظاهري الذي يمثله اتمّ تمثيل[٤٧] .

وفيما يخصّ (المدرسة الأندلسية) فيذهب شيخنا المخزومي - رحمه الله - إلى أنَّ فكرة (المدرسة الأندلسيّة) كانت مستوحاة من عمل الزبيدي في طبقاته، ذلك أنَّه خصّص للنحويين واللغويين الأندلسيين مكاناً خاصاً في طبقاته بآراء البصريين والكوفيين، فأوهم بوجود مذهب أندلسيّ. والرأي الذي رآه شيخنا المخزومي - رحمه الله - أنَّ الدرس النحوي حتّى زمان الزبيدي لم يختلف في شيء عما كان في بغداد والبصرة، والنحاة الذين سبقوه لم إلاَّ نقلة لنحو بغداد والبصرة أو شراحاً لمصنفات البغداديين والبصريين، وما ترجم الزبيدي لهم في طبقاته أمَّا متابعون للكوفيين أو متابعون للبصريين، ولم يكن أضافوا للنحو المشرقي شيئاً، ثمَّ يذكر السبب الذي جاز على الدارسين المحدثين فقالوا بمدرسة أندلسيّة هو ما أوهم به الزبيدي[٤٨].

ثمَّ يذكر شيخنا المخزومي - رحمه الله - أسماء الدارسين المحدثين الذين جاز عليهم ما أوهم به الزبيدي وهم:

١- طه الراوي الذي صنّف النحاة إلى بصريين وكوفيين وبغداديين وأندلسيين، وذلك في مقال له نشر في المجلد الرابع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ج٩/ ١٠ ص٣١٩) وكان عنوانه (نظرة في النحو)، وبعدها طبع

هذا المقال مع مقالات أخرى في كتاب (نظرات في اللغة والنحو)[٤٩] . ويرد شيخنا على آراء (طه الراوي) بقوله: ((وليس فيما تحدّث به عنهما ما يصلح أن يكون أساساً مذهبياً، أو سمة أسلوبيّة، بآية أنّه لاحظ أنّ المذهب البصريّ عمود الأندلسيين في الطريق التي شقوها في دراستهم اللغة والنحو، وأيّة مزية بقيت للدرس النحوي في الأندلس إذا كان عمودهم هو مذهب البصريين))[٥٠].

٢- ومحمد الطنطاوي في كتابه (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة)، فهو مشابه لـ(طه الراوي) واعتلاله لوجودهما كاعتلال (طه الراوي) إلاَّ زيادات لا غناء فيها، فهو يقول بعدول أهل الأندلس عن بعض آراء المشارقة في النحو ومخالفتهم في مناهج تعليمه وتدوينه، واستدركوا عليهم مسائل فاتتهم، فاستحدثوا مذهباً رابعاً عرف بمذهب المغاربة أو الأندلسيين[٥١].

وبعد هذا العرض لآراء الباحثين (طه الراوي)،و(محمد الطنطاوي) يرد شيخنا - رحمه الله - بأنّ ما قدمه هذان الباحثان من فكرة تعدّد المذاهب في أذهان الدارسين ماهو إلاَّ محض افتراض ما زال يفتقر إلى الدلائل والشواهد[٥٢].

أمَّا فيما يتعلّق بالدكتور شوقي ضيف في كتابه (المدارس النحوية) فيخرج شيخنا المخزومي بخلاصة لما قدمه الدكتور شوقي ضيف وهو:

١ - صنف النحاة الأندلسيين كما صنّف النحاة في المشرق إلى بصريين وكوفيين وبغداديين.

٢ - لم يذكر من مزايا هذه الطائفة أكثر من مزايا النحاة المشارقة الذين خلطوا المذهبين وسمّاهم بالبغداديين.

٣ - لم يُشر إلى خصائص مذهبيّة للأندلسيين البغداديين ممّا يدلّ دلالة واضحة أنّ مؤلف (المدارس النحويّة) ليس لديه فكرة واضحة عن مزايا مذهب أندلسي[٥٣].

وفي حديثه عن (شيوع المدرسة البغداديّة وتاريخه)، يذكر شيخنا المخزومي - رحمه الله - أنَّ

اسم البغداديين الذي تردّد في مؤلفات المُحدثين، يريدون به الدارسين الذين يمثلون مذهباً خاصاً، لا هو بالبصري، ولا هو بالكوفي، وإنَّما هو مذهب يقوم على الانتخاب من كلا المذهبين، وهو نشأ من تلاقي المذهبين القديمين في بغداد، ونهض به دارسون تلمذوا لثعلب ممثل الكوفيين وللمبرّد ممثِّل البصريين، والذي جعل الدارسين المحدثين يصدرون عما جاء في فهرست ابن النديم الذي أرّخ للدرس النحوي واللغوي وللنحاة واللغويين في المقالة الثانية التي قسّمها إلى ثلاثة فنون، تحدّث في الفن الثالث في أخبار النحويين واللغويين ممّن خلط المذهبين، وهذا ما جعلهم يقيمون المذهب الجديد على أساس الاختيار والانتخاب من كلا المذهبين القديمين، وهو ما كان يعبّر عنه ابن النديم ب ـ(خلط المذهبين)[٥٤].

وبعد أن يستعرض شيخنا المخزومي – رحمه الله – المصنّفات التي عرضت لطبقات النحاة، يخرج بنتيجة مفادها: أنَّ القول بوجود مذهب ثالث هو مذهب البغداديين ضربٌ من الوهم جرَّهم إليه:

١ – ماذكره ابن النديم في فهرسته.

٢ – وشيوع اسم بإزاء اسم الكوفيين والبصريين.

وما ذكره ابن النديم لا ينهض دليلاً على سلامة مزاعم المُحدثين، لأنَّه لم يعني ما يعنيه المحدثون، ولم يشر إلى أنَّ الدارسين الذين خلطوا المذهبين كاموا قد اتّخذوا لهم مذهبًا نحويًا يقف بإزاء المذهبين، ثمَّ يضيف أنّه يكفي للاقتناع بهذا أنَّ ابن النديم كان قد جعل ابن قتيبة على رأس هؤلاء، وكان ابن قتيبة من الدارسين الذين أقاموا في بغداد وعاصروا أبا العباس ثعلب، ولكنه لم يأخذ عن ثعلب ولا عن أحد من أصحابه، ولم تذكر كتب الطبقات في شيوخه الذين أخذ عنهم واحدًا من الكوفيين إنَّما كان أخذه عن البصريين، فقد أخذ النحو عن الرياشي ن واللغو عن السجستاني، وكلاهما بصريّ[٥٥].

ويُضيف أنّ المنطلق للدارسين المحدثين إلى ما زعموا من وجود مذهب

نحويّ جديد هو المذهب البغداديّ القائم، هو ما جاء به في فهرست ابن النديم، وتردّد في أقوال دارسين آخرين كأبي سعيد السيرافي في (أخبار النحويين البصريين)،وأبي القاسم الزّجاجي في (الإيضاح)، وأبي البركات الأنباري في (نزهة الالباء)، وهذا الزعم لم يتجاوز حدود الفكرة المجرّدة التي تفتقر إلى التطبيق، وإنّ النظرة الفاحصة فيما جاء من كلام أصحاب الطبقات، والمترجمين لأعلام الدرس النحوي، تنتهي بالدارس إلى أنّ خلط المذهبين الذي جاء نتيجة لتلاقي المذهبين في مجالس الدرس في بغداد لم يكن إحداث مذهب نحوي، ولكن كان يعني ترخص الدارسين في الأخذ عن الفريقين، والذين خالطوا المذهبين مازالوا ينتمون إلى المذهب الذي ينتسبون إليه[٥٦].

وليس غريباً أن يجوز على الدارسين المتأخرين الذين لم يتحرّروا من تأثير ذلك العصر وأوهامه وأساطيره، كصاحب (نشأة اللغة)، وصاحب (في أصول النحو)، وصاحب (مدرسة البصرة النحويّة)، ويجوز ذلك على دارسين عُرفوا في بيئات الدرس الحديث نقاداً ومنهجيين كالدكتور يوسف خليف الذي عرض في كتابه (حياة الشعر في الكوفة) لتاريخ النحو في إيجاز مُردّداً مقالات القدماء بدون فحص ولا نقد[٥٧].

ويردّ شيخنا – رحمه الله - على زعم أصحاب الطّبقات الذين أرّخوا للنحاة، الذين عدّوا الرّواسي والهراء من النحاة الكوفيين، بأنّ رأيهم ينطلق من فهم ساذج لمعنى المذهب، ولا ينبغي أن يذكر الرّواسي أو الهرّاء إلاّ حين يؤرّخ للكسائي والفرّاء ؛ لأنَّ العربيّة في عهد الرّواسي والهرّاء رواية لغة وشعر وأخبار وقراءة ومعرفة محدودة بالدرس النحوي والصرفي[٥٨].

ويضيف أنّ الرواسي والهراء، ليس لهما تأثير في الدرس ولا حوت كتب النحو الكوفيّة المعروفة أقوالاً نحويّة أو صرفيّة تنسب إليهما، ولكن الدكتور يوسف خليف جعل من الرّواسي (أستاذ الكوفة الأوّل)، وكتب الرواسي عنده من المصادر التي اعتمد عليها

سيبويه، والفرّاء عنده زميل الرّواسي في الأستاذيّة لمدرسة الكوفة، على الرّغم من أنّ الدكتور (خليف) لم يعرف من مصنفات الرّواسي إلاّ أسماءها[٥٩] .

ويقرّر شيخنا المخزومي - رحمه الله - أنّ مدرسة الكوفة النحويّة، تسمية متأخرة، لم تنشأ في الكوفة وإنّما نشأت في بغداد، ولم يكن لها شيوخ قبل الكسائي والفرّاء[٦٠] .

وفي حديثه عن المتأخرين فقد رأى أنَّهم يتأثرون بابن جني حين رأوه ينسب الرأي إلى البغداديين إلى الكوفيين دون أن يشير إلى أنّ هؤلاء هم أولئك، وحسبوا أنَّ البغداديين فريق والكوفيين فريقٌ آخرٌ، وجاز ذلك على الدارسين المحدثين فراحوا يعزّزون بهذه النقول المُخلّطة زعمهم بوجود مذهب ثالث يقف بإزاء المذهبين النحويين الكبيرين مذهب البصريين ومذهب الكوفيين[٦١] .

وفيما يخصّ (التسميّة بالكوفيّة) فيرى شيخنا المخزومي - رحمه الله - أنَّ نسبة هؤلاء الدارسين البغداديين ترجع إلى الكسائي الذي ولد ونشأ وتعلّم، وعُرف قارئا في الكوفة، واتجه إلى بوادي نجد والحجاز وتهامة، يشافه الأعراب، ويحكي اللغات ويدوِّن ما يسمع، وعاد إلى الكوفة لكنه لم يستقرّ في الكوفة طويلًا حتّى دُعي إلى بغداد ليؤدِّب أولاد الخليفة[٦٢] .

وفي حديثه عن (الأنصاريّ والمدرسة المزعومة) الذي كان قد ألّف كتاب (أبو زكريا الفرّاء)، وهو أحد الباحثين الذين راقت لهم فكرة المذهب البغدادي قبل الدكتور شوقي ضيف، فقد أقام الدكتور أحمد مكيّ الأنصاريّ رأيه هذا استنادًا إلى آراء (فولكل) و(بروكلمان)، ثمَّ أحمد أمين الذي يرجع الدارسون المحدثون إليه في تصورهم المذهب الثالث، فالدكتور الأنصاري الذي جاء برأي أوقعه في خلط وتناقض لم يوفق إلى الخروج منهما، فهو لم يسلم من الوقوع في التخبط عند التطبيق، فقد بدأ المدرسة الكوفية بأبي جعفر الرواسي، وختمها بأبي جعفر الرواسي، وجعل الرواسي أستاذ المدرسة وتلميذها، ولم يرد أن يكون الفرّاء من

الكوفيين ؛ لأنّه فيما كان يراه لم يلتزم بما ألزم الكوفيين أنفسهم من خصائص المذهب، وكان يمزج الآراء الكوفيّة بالآراء البصريّة، ولم يكتفِ الأنصاريّ بأن يبعد عن المدرسة الكوفية أحذق رجالها، ويقصرها على أبي جعفر الرواسي، بل زعم أنّه وضع يده على البذرة الأولى للمذهب البغداديّ عند عيسى بن عمر المتوفى سنة ١٤٩هـ وكان يمكن للدكتور الأنصاريّ أن يكون منطقيًا لو أنَّه عكس الأمر فذهب إلى تأثر الكوفيين بمذهب عيسى بن عمر في قياسهم على الشاهد الواحد النادر، ويكون هو الموجه للدرس الكوفي، ويكون الدكتور الأنصاريّ ثالث اثنين كانا قد سلبا الدرس الكوفيّ أصالته ونسباه إلى المذهب البصري وهما (فايل) والدكتور ضيف[٦٣].

الهوامش:

١- الدرس النحوي في بغداد، د مهدي المخزومي، وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، بد ط، ١٩٧٥م - ١٣٩٥هـ ص٥.

٢- ينظر: نفسه ص٥.

٣- ينظر: نفسه ص٥ - ص٦.

٤- ينظر: نفسه ص٦.

٥- ينظر: الدرس النحوي في بغداد ص ١٧.

٦- مجالس العلماء، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزّجاجيّ، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة: ص٩، وينظر: مُعجم الأدباء، ياقوت، مطبوعات دار المأمون، الجزء الثالث عشر، الطبعة الأخيرة، ص١٨٦ - ١٨٧.وينظر: نفسه، الجزء السادس عشر، ص١١٩ - ص١٢٠.

٧- ينظر: الدرس النحوي في بغداد ص ١٨.

٨- ينظر: نفسه ص١٨ - ٢٠.

٩- ينظر: الدرس النحوي في بغداد ص٢٠.

١٠- ينظر: نفسه ص٣١ - ٣٢.

١١- ينظر: الدرس النحوي في بغداد ص ٣٣.

١٢- ينظر: نفسه ص٥٦.

١٣- ينظر:الدرس النحوي في بغداد: ٥٧.

١٤- ينظر:نفسه: ٦١.

١٥- ينظر:نفسه: ٧٣.

١٦- ينظر: نفسه: ٧٤.

١٧- ينظر: نفسه ص٨٣.

١٨- ينظر: الدرس النحوي في بغداد ص٨٤ – ٨٦.

١٩- ينظر:الدرس النحوي في بغداد ص٩٧ – ص ٩٨.

٢٠- ينظر: نفسه ص ١٠٠.

٢١- ينظر:نفسه ص١٠٢.

٢٢- ينظر: نفسه ص ١٠٤.

٢٣- ينظر: الدرس النحوي في بغداد ص ١٠٥ - ص١٠٦.

٢٤- ينظر: نفسه ص١١٨.

٢٥- ينظر:نفسه ص١٢٥.

٢٦- ينظر:نفسه ص١٢٦.

٢٧- ينظر:نفسه ص١٣١.

٢٨- ينظر: الدرس النحوي في بغداد ص ١٣٥.

٢٩- ينظر: نفسه ص١٣٩.

٣٠- الدرس النحوي في بغداد ص١٤٨.

٣١- ينظر:نفسه ص١٤٨.

٣٢- ينظر:نفسه ص١٤٩.

٣٣- ينظر: الدرس النحوي في بغداد ص ١٥١ – ١٥٢.

٣٤- نفسه ص ١٥٤.

٣٥- نفسه ص١٥٤ – ١٥٥.

٣٦- نفسه ص١٥٥.

٣٧- الدرس النحوي في بغداد ص١٥٦ – ١٥٧.

٣٨- ينظر: نفسه ص١٥٧.

٣٩- ينظر: نفسه ص١٥٨.

٤٠- ينظر: نفسه ص١٦٠ – ١٦٣.

٤١- ينظر: نفسه ص١٦٥ – ١٦٦.

٤٢- الدرس النحوي في بغداد ص١٦٩ – ١٧٠.

٤٣- ينظر: نفسه ص١٧٠.

٤٤- ينظر: الدرس النحوي في بغداد ص١٧٠ – ١٧١.

٤٥- نفسه ص١٧٧.

٤٦- ينظر: نفسه ص١٨٠.

٤٧- ينظر: نفسه ص١٨١.

٤٨- ينظر: الدرس النحوي في بغداد ص١٨١

٤٩- ينظر: نفسه ص١٨٢.

٥٠- نفسه ص١٨٣.

٥١- ينظر: نفسه ص ١٨٣.

٥٢- ينظر: نفسه ص١٨٣.

٥٣- ينظر: نفسه ص١٨٥.

٥٤- ينظر: الدرس النحوي في بغداد ص١٨٦.

٥٥- ينظر: نفسه ص٢٠٢.

٥٦- ينظر: نفسه ص٢٠٤ – ص٢٠٥.

٥٧- ينظر: نفسه ص٢٠٨ و ص٢٠٩.

٥٨- ينظر: نفسه ص٧ ٢٠.

٥٩- ينظر: الدرس النحوي في بغداد ص ٢٠٩.

٦٠- ينظر: نفسه ص٢٠٩.

٦١- ينظر: نفسه ص٢٢٢ – ٢٢٣.

٦٢- ينظر: نفسه ص٢٢٤.

٦٣- ينظر: الدرس النحوي في ب غداد ص٢٣٩ – ص٢٤٢.

مصادر البحث:

القرآن الكريم

١- الدرس النحوي في بغداد، د مهدي المخزومي، وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، بد ط، ١٩٧٥م – ١٣٩٥هـ.

٢- مجالس العلماء، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزّجاجيّ، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣- مُعجم الأدباء، ياقوت، مطبوعات دار المأمون، الجزء الثالث عشر، الطبعة الأخيرة.

قراءة في كتاب (المخزومي ونظرية النحو العربي) د.زهير غازي زاهد

أ.د.تحسين فاضل عباس / كلية الآداب /جامعة الكوفة

بقربي المعرفي من شيخنا العلامة د.زهير زاهد ونتاجه النحوي واللغوي الثر ،الذي يظهر فيها قراءات جديدة بضميمة الاستعمال للغة، فتنتقل اللغة من سلطان القاعدة النحوية وتقديسها الى الوظيفة الاستعمالية للغة ؛لتعانق المنهج الوصفي ، بتأييد د.زهير زاهد لمسار التيسير للنحو العربي الذي رفع شعاره أربعة من أعلام القرن العشرين: إبراهيم مصطفى ،وشوقي ضيف ،ومهدي المخزومي،وأحمد عبد الستار الجواري، بضرورة الإصلاح النحوي وتجديده.

شخص ابن خلدون في (مقدمته) العلاقة السلبية بين التنظير في القواعد والاستعمال الوظيفي : فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل. وكذلك تجد كثيراً من جهابذة النحاة، والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين، إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو في مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده، أخطأ فيها الصواب وأكثر من اللحن، ولم يجد تأليف الكلام لذلك، والعبارة عن المقصود فيه على أساليب اللسان العربي. وكذا نجد كثيراً ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول، ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية.

بعد إطلاع الباحثين العرب على المناهج والنظريات الغربية الحديثة ،ودراسة بعض الباحثين في الجامعات الغربية تم عقد مقارنة بين منهج العرب القدماء والمناهج الحديثة ،انتهت الى توجيه أولئك الباحثين النقود الى التراث العربي في جوانب عديدة ومنها علم النحو.

خلاصة آراء المخزومي في إحياء النحو وتيسيره هو الاهتمام بدراسة الأساليب وإعادة ترتيب موضوعات النحو على وفق المعنى، وإلغاء نظرية العامل، ورفض القياس النحوي، وإلغاء التأويل والتقدير،وجميع أنواع الفعل مبنية وكذلك الفعل المضارع ،والإعراب مختص بالاسماء،وتفسيره لمعاني علامات الاعراب،ودعا الى توسيع الاستشهاد النحوي لتشمل النصوص القرانية والقراءات والحديث النبوي وكلام

العرب الذي ثبت فصاحته برواية الثقاة ،وقال بالفعل الدائم وغيرها من الآراء.

آمن المخزومي أن الدراسة السليمة بالعودة الى الخليل باهتمامه بالمستوى الصوتي،الذي يمهد للدرس الصرفي ثم الدرس النحوي،على حين لم يحظَ المستوى الصوتي باهتمام القدماء الذين ركزوا على النحو،والدرس اللغوي الحديث يقدم الصوت على بقية مستويات اللغة الأربعة.

مال الى المذهب الكوفي،لأنه الأقرب الى طبيعة اللغة؛ لاعتمادهم السماع وعنايتهم بالقياس الخاضع للنقل والتحرر من قيد المنطق. وانتقد المذهب البصري ؛لأنه مثقل بالتعليل والتأويل والتقدير، فاللغة لا ينبغي أن تخضع لأحكام العقل.

اهتم وركز في دراسته على مستويات اللغة الثلاثة وأهمل المستوى الدلالي ؛لأنه يرى أن علماء المعاني هم الذين اعتنوا عناية حقيقية بالدرس النحوي .

قامت آراؤه على منهج الخليل والمذهب الكوفي وعبد القاهر الجرجاني وشيخه إبراهيم مصطفى.وانماز منهجه بالتطبيق وتقديم البديل للمشاكل النحوية في كتابه(في النحو العربي نقد وتوجيه) الذي نال جائزة أحسن كتاب في النحو عام ١٩٦٦ م من قبل جمعية الكتاب في بيروت ،وكتابه الثاني (في النحو العربي قواعد وتطبيق) الذي نال جائزة المملكة السعودية للأعمال الراقية، فضلا عن كتابه الاخر مدرسة الكوفة ،والدرس النحوي في بغداد.

إن القراءة الجديدة للنحو عند المخزومي لم تأتِ لالغاء الأصول النحوية بل لبعث المنابع الأولى له،وعدم زج النحو بالفلسفة والمنطق فصارت العلة غاية عندهم ؛لذلك صار التوجه الى الكوفيين والتعويل عليهم لانهم نظروا الى العلة الفلسفية بعد اقترانها بالقياس والتعليل ويعود السبب الى طبيعة البيئة الكوفية واختلافها عن البيئة البصرية.

إن الاعمال النحوية له تأتي في نقد الفكر النحوي العربي الذي شابه التكلف بعد ابتعاده عن الوصفية واختلط بعلوم أُخر أبعده عن طريق النحو الذي يركز على التركيب والدلالة، فالنحو عنده هو الذي يهتم بدراسة

معاني التركيب وليس الاهتمام بدراسة أواخر الكلم كما عند القدماء.

انماز إحياء النحو عنده في الجمع بين النظرية والتطبيق، ومع قافلة ناقدي النحو وتيسيره لم تحقق هذه الجهود ثمارها؛لقوة عمل القدماء فيه الذي اعترف بفضلهم علماء اللغة الأجانب، وأشادوا بجهودهم قبل العلماء العرب المعاصرين،وتيسير النحو في جانب يعني عرضه بطريقة سهلة وهذه الطريقة كانت حاضرة في الدرس القديم فوضعوا مختصرات من ذلك: مقدمة النحو لخلف الأحمر(١٨٠هـ) وكتاب الجمل للزجاجي(٢٣٨هـ) والتفاحة لابي جعفر النحاس(٣٣٨هـ) والواضح للزبيدي(٣٧٩هـ) وغيرها، فهم فرقوا بين النحو التعليمي الذي ابتعدوا فيه عن التفصيل والتأويل والتعليل، وكان هدفهم الوحيد تقريب النحو للمتعلمين ،وبين النحو التخصصي الذي يهتم بالتحليل والعمق المعرفي.

ظهرت نقود الى محاولة د. المخزومي بانه نادى بالمنهج الوصفي للنحو ورفض المعيارية ولكنه كان معياريا تعليميا، الا ان المنهج الوصفي الذي عنده كان نابعا من التراث العربي الأصيل لا من الفكر الغربي،فقام منهجه الوصفي على الاستقراء والملاحظة في إطار التقنين، وهذه القواعد تتغير بتغير الاستعمال لا العكس، وبهذا يختلف عن محاولة د. تمام حسان الذي دعا الى تطبيق المنهج الوصفي الغربي الذي أرسى دعائمه دي سوسور، وتبعه فيرث صاحب النظرية السياقية.

إن انتصاره للكوفيين فيه نظر؛ لأنهم اعتمدوا القياس النحوي والتعليل لكثير من الظواهر النحوية والعامل النحوي فعلم الكلام كان واضح التأثير فيهم.

لم يكتب النجاح لمحاولة المخزومي في التيسير شأنه شأن غيره ؛لأنه حين ألغى بعضا من موضوعات قدم البديل الصعب من ذلك معاني علامات إعراب المثنى والجمع، هي في الواقع تعتمد التأويل الذي رفضه، ومغالاته تضعيف عمل النحاة القدماء في جهودهم الكبيرة.

General Supervisor

Sheikh Abdul–Mehdi El–Kerbala'I

Editor-in-Chief

Prof. Dr. faris hassan AL sultany

managing editor

Lecturer Dr. Hassan Kazem Al-Zuhairi

Board of Editors

Prof. Dr. . Ali Gaseb Abdullah Haider

Prof. Dr. Ali Hilo Hawas Jabbar

Lecturer Dr. Aksam Ahmed Fayyad

Proofreading

Yousif ALrehimi

Design and Production

Haider Azhar Al-Fatlawi

Head lighting

" Siaraa "السِّيرَاءَ" أو "with the breaking of the sin and the opening of the yaa and the madd (in the language of the early Arabs) is a type of clothing with silk or pure gold, or the adhesive shell mixed with the nucleus or a palm leaf, therefore our respected magazine collected all these meanings and was branded with it, surely It is garment embroidered with gold for what it contains of documents from the biography of the Arabic language figures and records it from their scientific traces, such pure biography is to serve our eternal language, the language of the Noble Qur'an.

It is also a tall palm tree whose shelter seekers of knowledge reap when they reap its lowly fruits and harvest its lofty secrets.

Publication Name	Siaraa Journal

Published by (Issuing authority)

House of Arabic Language and Literature

Publication year	2023
Edition:	first

The Press

Dar Al-Warith Press for Printing and Publishing
Iraq - Karbala

Issue	8
Number of copies	500 copies

General Secretariat of the Holy Shrine of Imam Hussein

House of Arabic Language and Literature

Deposit number in the Iraqi House of Books and Documents :2015 , 2107

To communicate

Website: www.alh.imamhussain.org

E-mail: siaraa@imamhussain.org

+9647721458001 - +9647827236864